كتاب
تعليم المتعلم طريق التعلم

تأليف

برهان الاسلام الزرنوجي

تحقيق

مروان قباني

دكتوراه في الفلسفة الاسلامية - ألمانيا الغربية

إجازة في الشريعة الإسلامية - جامعة الأزهر

أستاذ الاسلاميات في معهد الدراسات الاسلامية المسيحية

الجامعة اليسوعية

المكتب الإسلامي

ساعدت جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية ببيروت على نشر هذا الكتاب

كتاب
تعليم المتعلّم طريق التعلُّم

تأليف
برهان الاسلام الزرنوجي

تحقيق
مروان قباني
دكتوراه في الفلسفة الاسلامية - ألمانيا الغربية
إجازة في الشريعة الإسلامية - جامعة الأزهر
أستاذ الاسلاميات في معهد الدراسات الاسلامية المسيحية
الجامعة اليسوعية

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى

بيروت، غرة ربيع الأول ١٤٠١ هـ ٦ كانون الثاني ١٩٨١ م

المكتب الإسلامي

بيروت: ص.ب ١١/٣٧٧١ ـ هاتف ٤٥٠٦٣٨ ـ برقياً: اسلاميا

دمشق: ص.ب. ٨٠٠ ـ هاتف ١١١٦٣٧ ـ برقياً: اسلامي

الإهداء

إلى جدّي

مجدّد التربية الإسلاميّة في لبنان

الشّيخ

عبد القادر القبّاني

مؤسّس جمعيّة المقاصد الخيريّة الإسلاميّة
في بيروت
رائد التربية الإسلاميّة

مروان

الدراسة والمقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾(١) .

﴿يا أيها الناس : إتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذي تسآءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيبا﴾(٢) .

﴿يا أيها الذين آمنوا ، اتقوا الله وقولوا قولاً سديدا ، يصلح لكم

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٠٢ .
(٢) سورة النساء ، الآية ١ .

أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾[1] .

أما بعد :

فهذا كتاب « تعليم المتعلم طريق التعلم » للزرنوجي نقدمه للمهتمين بموضوع التربية والتعليم ، وبالأخص من كتب التراث ، وذلك مساهمة في تجديد كتب ذلك التراث ، الذي ما زال متواصلاً ، رغم ما طرأ عليه من إهمال وتشويه ، ورغبات حاقدة في طمسه . آملاً الافادة منه في هذه الأيام التي تقوم فيها نهضة يجدد بها المسلمون صياغة نظريتهم في التربية والتعليم ، راجياً أن يكون إسهامي البسيط المتواضع فيه النفع والخير لأمتنا .

لقد أحسست بالحاجة إلى مثل هذه الأبحاث عندما تسلمت عملي كموجه تربوي للعلوم الدينية في مدارس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت ، التي تضم العديد من أبناء المسلمين على مختلف طوائفهم ، وشعرت بضرورة قصوى إلى إدخال التعديل والتبديل بصورة دائمة على ما نقدم لأبنائنا من مناهج وكتب تتناسب مع كل مرحلة من مراحل نموهم الذهني والفكري ، شاكراً لأسلافنا في جمعية المقاصد المباركة ما بذلوا من جهود قيمة تتناسب مع ما كان ميسراً لهم من وسائل مادية ومعنوية ، ومقدراً الرئاسة الحالية للجمعية على ما تقوم به من دعم للتربية الإسلامية بكل الإمكانيات

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٧١ .

المتاحة، وأنا مدين إلى علمائنا السابقين في لبنان وغير لبنان بما تلقيت من علم واستفدت من معلومات.

وأشكر كل من ساعد في إنجاز هذا العمل، وأخص بذلك العلامة المحقق الأستاذ زهير الشاويش- صاحب المكتب الإسلامي- الذي أمدني بصور مخطوطات الكتاب والمراجع اللازمة، والذي أبدى من الملاحظات العلمية والفنية التي لولاها لما تيسر اخراج الكتاب على الشكل الذي ظهر به.

والله ولي التوفيق

بيروت غرة ربيع الأول ١٤٠١ هـ

٦ كانون الثاني ١٩٨١ م

مروان قباني

مقـــدّمة

نظرة في التربية الإسلامية

لعل تَمَيُّز الشخصية الإسلامية في جميع مجالات وأنشطة الحياة - كما يثبت لنا التاريخ وخصوصاً بالنسبة لجيل مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولأجيال العلماء بعده - يعود في الأصل إلى تميز الفكرة الإسلامية في رؤيتها للكون بشموله والانسان بأعماقه وطرح ومعالجة قضايا الحياة بأكملها ، وربما يعود بالأخص إلى تميّز النظرية الإسلامية في التربية عما سواها من نظريات بدوافعها وأهدافها .

وقولنا هذا ، ليس حماساً للإسلام ، ولا تخيلاً لأمر غير قائم ، ولا غضاً من قيمة ما انتجته حضارات الانسان وما أملته خبراته على مر الدهور من قيم تربوية ، بل هو وصف لحقيقة قائمة ، تمت ممارستها وتطبيقها فأجرت تحولات جذرية لدى أجيال وغيرت بها مسارات حياتها وجعلت منها عوامل فاعلة في المجتمع البشري .

وليست فعاليتها وآثارها في مسار الانسانية فحسب هي الدليل على أهميتها وقيمتها ، فذلك ما أظهرته تربويات متعددة الاتجاهات ، إنما ربانيتها وإيجابيتها وخيريّتها هي المؤشر الواضح على

أن لها التميز والتقدم على غيرها . بل إن ربانيتها هي في الأصل المؤشر الأول لمدى عمق فكرتها وشمول أثرها ، وخيرية هذا الأثر .

إن كون الإسلام ، دين ونظام منزل من رب العالمين ، الخالق الموجد ، هو ما يعطيه القيمة التي ترتفع عن التأثر بالزمان والمكان ليتفاعل الانسان به في كل زمان ومكان ، تناسقاً مع فطرته التي فطره الله عليها ، وليفجر فيه طاقات العمل ، يحقق بها هدف وجوده ويحدد بها مآله ومصيره .

ومن هنا كانت العبودية لله تعالى في حياة الانسان ـ التي تعني ممارسته أمور الحياة وتوجيهها الوجهة الإيجابية الخيرة ، كما حددها الإسلام ـ على مستوى الفرد والجماعة والانسانية في جميع أدوارها وأعصارها هو هدف التربية الإسلامية النهائي وغايتها[1] .

ومن هذا المنطلق الأساسي ، ومن تصور غاية الحياة وهدف تكوين الشخصية الانسانية وإعدادها لممارسة الحياة ، تميزت التربية الإسلامية عن تربويات أخرى إلتزمت بجانب ديني داخله ما ليس

---

(١) أنظر ما كتبه المفسرون حول الآية ٥٦ من سورة الذاريات « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » والآية ٢١ من سورة البقرة « يا أيها الناس اعبدوا ربكم » .

وانظر ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية عن معنى العبودية في كتابه « العبودية » ص٣٨ ، طبع المكتب الإسلامي ، والشهيد سيد قطب في « ظلال القرآن » في تفسير الآيتين المذكورتين ، والأستاذ عبد الرحمن ألباني في كتابه « مدخل إلى التربية » ص٦٩ طبع المكتب الإسلامي . وكذا « منهج التربية الإسلامية » لمحمد قطب ١ ـ ٢ .

منه ، وعن تربويات أعرضت عن ربط التربية بالتصور الديني ، كما رأى ديوي في العصر الحالي (توفي عام ١٩٥٢) ، أو أجّلته إلى فترة متأخرة من مراحل التربية ، كما نجده عند جان جاك روسو قديماً (توفي ١٧٧٨) ، وكغير ذلك من الآراء والمواقف السلبية من الدين ، وهذا التوجه في الفكر الغربي له ما يفسره من مجموع تاريخ التطور الفكري والديني لأوروبا وحضارتها .

ومن هذا المنطلق ذي الغاية المثلى اقتضت التربية الإسلامية فروعاً متعددة متنوعة ، تتناول قوى الانسان وملكاته كافة :[١] .

١ - تنميةً لجسمه ، وحفظاً لصحته ، وهي التربية البدنية - الصحية .
٢ - وتقويماً للسانه ، وإصلاحاً لبيانه ، وهي التربية الأدبية .
٣ - وتثقيفاً لعقله ، وتسديداً لتفكيره وأحكامه ، وهي التربية العقلية .
٤ - وتزويداً له بالمعلومات النافعة للتعرف على الحقائق الكونية وهي التربية الغلمية ، وهي من طرق معرفة الله تعالى .
٥ - وترويضاً له على وسائل الكسب لعيشه ، وهي التربية المهنية .
٦ - وإيقاظاً لشعوره بجمال الكون ومعاونة له على التعبير عن هذا الشعور ، وهي التربية الفنية .

(١) هذا الترتيب لأنواع التربية نقلناه عن كتاب « مدخل التربية » للأستاذ عبد الرحمن الباني ص٧١ - ٧٢ .

٧ - وتعريفاً له بحقوق المجتمع وبما فيه نظم وظواهر هي التربية الاجتماعية.

٨ - ووصلاً لشعوره بالأخوة العالمية وهي التربية الإنسانية.

٩ - وإعداداً لأعماله وعاداته أن تكون وفق الاستقامة، وهي التربية الأخلاقية.

١٠ - ثم تسامياً بروحه إلى الأفق الأعلى وهي التربية الروحية(١).

ونحن لا نرى في هذه الفروع التربوية تبايناً بين بعضها البعض لأن عملية التربية هي كلٌّ مترابط الأجزاء ولأنها تؤدي بالتالي إلى تكوين شخصية مترابطة الكيان.

فبناء على هذا، ليس بدعاً من القول أن يخوض العلماء المسلمون قديماً بالتأليف في موضوع التربية وكذلك التعليم، بل العجيب أن لا تكون مؤلفاتهم في هذا المجال كثيرة العدد(٢)، فللإسلام - كما رأينا - نظريته في التربية عبر عنها القرآن الكريم وتحدثت عنها السنة النبوية، وللحضارة الإسلامية العلمية - كما نعرف من تاريخها المجيد - نظريتها التعليمية، فقد خاض المسلمون

---

(١) عبر عنها المؤلف بـ «التربية الدينية» ونحن لا نقبل هذا التعبير لأن لفظ «الدين» ومفهومه له ذات شمولية الإسلام، ولا يمكن بالتالي حصره بالمعنى الروحي، أنظر «المصطلحات الأربعة في القرآن» للأستاذ أبي الأعلى الودودي.

(٢) هي فعلاً قليلة العدد قياساً مع مؤلفاتهم في شتى العلوم التي كانت معروفة لديهم، والجدير بالذكر أن موضوع التربية دخل في مؤلفات كثيرة جداً من غير أن يفرد بكتب مستقلة، فهي قليلة من حيث العدد، كثيرة من حيث تناول المعنى.

في علوم وقتهم ، وابتكروا علوماً ، وتوسعوا في علوم اقتبسوها ، وهم في هذا اتبعوا منهجاً تربوياً تعليمياً معيناً ، ما كانوا ليبلغوا ما وصلوا إليه فعلاً دون تطبيقهم لهذا المنهج ، منهج اتضح في مؤلفاتهم المتخصصة بموضوع التربية والتعليم.

وعلى هذا فما كتبه التربويون المسلمون إنما هو تعبير خاص لنظرية الإسلام التربوية الأساسية ، تلاقوا في عمومياتها وتباينت أفكارهم في تفصيلاتها ، وهذا الأمر طبيعي جداً فإن الزمن يُطوى ويطرأ على المجتمعات تطور وتغير فتختلف بالتالي في دقائق مناهج حياتها . وهنا نلمس ميزة كبيرة للإسلام في قواعده العامة التي تغطي أنشطة الحياة.

ولذلك فإن أية دراسة لما كتبه العلماء المسلمون في التربية والتعليم يجب أن تراعي ، في النظر إلى مؤلفاتهم ، ما ورد بها من أصول تلتزم بفكر الإسلام التربوي ولا ترتبط أحياناً مع فروع تعليمية تخضع لمفهوم العصر المتغير . وبذلك يقترب البحث إلى درجة الدقة العلمية المطلوبة في معالجة كل قضية.

ومن ناحية أخرى فما تذكره مؤلفات التربية والتعليم من آداب ووسائل تربوية تعليمية مقترنة بالعصر ، يؤلف في مجموعه صيغة تربوية نفسانية متكاملة للتعليم في تاريخ المسلمين. فعند الاطلاع على تلك المؤلفات نجد من العلماء من اهتم بالعلم وفضله ، ومن اقتصر على تلازم العلم والعمل ، ومن ركز على كيفية تعلم العقيدة الإسلامية ، ومن تكلم عن تعليم الصبيان أو عن التعلم عموماً . .

إلخ . وبضم شتات هذه الكتب إلى بعضها نتعرف إلى تلك الصيغة التربوية النفسانية الرائعة[1] .

وبرغم تركيز بعض التربويين القدامى في كتبهم لقضايا وموضوعات تربوية معينة ـ كما وضحنا ـ وتكررت بوضوح في أغلب المصنفات ، لم يعملوا على تجنب هذا التكرار في المعالجة ولم يكن هذا الأمر فيما نتناوله الآن فحسب إنما في كتب كل العلوم المعروفة وقتها .

وللعلماء المسلمين فيما كتبوه قديماً في شتى كتب علومهم أسلوب طريف يخفف من وقع التكرار والاستطراد الحاصل في التأليف ، فقد ألفوا المختصرات ، ولخصوا المطولات ثم لخصوا الملخصات ، وذلك في مرحلة مؤخرة لا نظنها تبدأ قبل أوائل القرن الخامس الهجري . والواقع أن لهذا الأسلوب أسباباً عدة منها السلبي والإيجابي » . فالظروف التاريخية العامة من تفكك سياسي أدّى إلى تشتت اجتماعي ، وفقدان المشكلات الجديدة الذي يخفف من اضطرار الفكر إلى الاستنباط ، ومن لجوء للتقليد احتراماً للسلف وإكباراً لما قالوه ، ومن معرفة واستعمال حديثين للغة العربية في البلاد التي دخلها الفتح الإسلامي مما يثقل على المتعلم قراءة المطولات ، وكذلك التنوع الفجائي الموسع للعلوم التي يضطر المتعلم

---

(١) أنظر كتاب : اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي ـ العالم والمتعلم لأبي حنيفة وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر القرطبي وإحياء علوم الدين للغزالي ، وأدب الدنيا والدين للماوردي وغيرها .

إلى الاحاطة بمجملها، كل هذا أدى إلى ضرورة مسايرة العصر وكتابة الملخصات[1].

وهنا تكمن قيمة كتاب «تعليم المتعلم طريق التعلم» لبرهان الإسلام الزرنوجي - موضوع بحثنا - فهو وإن تضمن ذكر ما جرى البحث حوله في كتب التربية والتعليم المؤلفة قبله، مما أسهب فيه المؤلف أو اكتفى بالإشارة إليه (انظر ص٦٥)، إلا أنه أورد الجديد فيما له صلة بالوسائل التعلّمية والتي لا تختص فقط بالصبيان بل تصلح لكل متعلم. وإضافة إلى ذلك فإن كون الكتاب مختصر في موضوعه هو ما رغب في الاطلاع عليه والأخذ منه (مما سيمر معنا في ذكر الاهتمام بالكتاب).

ولهذا يُعد الكتاب أشهر المؤلفات العربية في موضوع التربية[2] كما يعتبره بعض الدارسين المحدثين إلى جانب كتاب القابسي القيرواني (المتوفى عام ٤٠٣ هـ) أهم كتابين في التربية الإسلامية مما كتبه العلماء المسلمون قديماً[3].

---

(١) مع أننا لا نرى في هذه الملخصات والمختصرات صلاحاً مطلقاً، وعلى الأخص في وقتنا الحاضر وقد تيسرت الطباعة، مخافة أن تذهب الأصول وتبقى المختصرات، اللهم إلا إذا طبعت الأصول وأضيفت إليها المختصرات كمقدمة أو خاتمة أو فهارس مع الإشارة إلى ذلك.

(٢) تاريخ العرب ٢/٤٩٧.

(٣) أنظر الأهواني ٢٣٩.

التعريف بالمؤلف: برهان الإسلام الزَرْنُوجي:

١ ـ اسمه:

إن المعلومات التي لدينا من كل المراجع المتوفرة بين أيدينا لم تعطينا سوى فكرة مقتضبة جداً عن شخصية الزرنوجي، مما لا يسمح بالاحاطة بشخصيته وفكره أو المعرفة التامة لسيرته العلمية وتأثره وتأثيره في بيئته. اللهم إلا ما يجيزه لنا الاستنتاج من تلك المعلومات الضئيلة.

لقد أغفلت أغلب كتب التاريخ والطبقات والتراجم ذكر هذا الرجل الذي أعطى نتاجاً من أهم وأوضح وأوجز ما كتب في الفكر التربوي والتعليمي الإسلامي في عصره، حتى اسمه لم نملك أن نتعرف إليه فقد اشتهر بلقبه وهو: برهان الإسلام أو برهان الدين، على اختلاف في المراجع، وذلك على عادة العلماء والمشاهير في تلك العصور التلقب بهذه الألقاب الدينية التي يُرجى منها إظهار صاحبها بمظهر المتدين والمؤثر بالدين.

الزرنوجي نسبته إلى بلده «زرنوج»، وهي، كما يقول القرشي

صاحب الجواهر المضيئة[1]، من بلاد الترك. أما ياقوت الحموي فقال عنها في معجمه[2]: بلد مشهور بما وراء النهر بعد خوجند من أعمال تركستان[3].

وما وراء النهر هي البلاد الواقعة وراء نهر جيحون بخراسان التي قال عنها ياقوت: «من أنزه الأقاليم وأخصبها وأكثرها خيراً»[4]. وأول من أرسل الجيوش لفتحها هو الحجاج بن يوسف (توفي ٩٥ هـ/٧١٤ م) بأمر من الخليفة - عبد الملك بن مروان بن الحكم (توفي سنة ٨٦ هـ/٧٠٥ م).

٢ - شخصيته:

إن قلة المعلومات حول حياة الزرنوجي لا تعني بالتالي استحالة تكوين فكرة عن شخصيته التي تلمسها بوضوح في كتابه، فمن خلال قراءة كتاب (تعليم المتعلم) تتبين لنا ملامح تلك الشخصية فهو: فقيه حنفي متعصب لمذهبه، وتبعيته لمذهبه تظهر في مصنفه الذي أورد فيه العديد من الاستشهادات والأقوال السائرة، أغلبها لعلماء وفقهاء أحناف، مع أن الكتاب لا يمت بصلة إلى أي من مواضيع

---

(١) الجواهر المضيئة ٣١٢/٢.
(٢) معجم البلدان ٣٨٧/٤.
(٣) تركستان هي اليوم أفغانستان وجزء من الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفياتي وعن التحديد الجغرافي والتاريخي للمنطقة قارن مادة تركستان في الموسوعة الإسلامية، الترجمة العربية ٢٠٩/٥ - ٢١١.
(٤) معجم البلدان ٣٧٠/٧.

الفقه ولا يتناول مذهب الإمام أبي حنيفة بأية دراسة، وتظهر أيضاً بتلميحه إلى بعض كتب الأحناف المختصرة في الفقه، التي رأى أن على المتعلم حفظها في بداية طريق التعلم، بل أوجب تقطيع الورق للكتابة على ما كان يفعله الإمام أبي حنيفة (أنظر ص ٨٤).

عذا اهتمام الزرنوجي بالناحية الفقهية، فقد وصفه المستشرق بلسنر Plessner بأنه فيلسوف عربي[١]. ولا ندري على أي مرجع اعتمد في تأكيده لدراسة الزرنوجي الفلسفة ورسمه بالفيلسوف، أما أن يكون الزرنوجي عربياً فهذا وهم بيّن، فإن صاحبنا ولد ونشأ في منطقة توصف بأنها من (بلاد الترك) فهو ليس عربياً رغم معرفته وكتابته بالعربية والتي كانت لغة الحضارة الإسلامية في كل بلاد الإسلام، كما أنه ليس هناك ما يدل على أن أصله من العرب القاطنين في تلك المناطق. كما يحرص مؤلفو كتب التراجم على ذكر هذه النسبة فيمن تتوفر له، ولذلك فقد كان من الأجدر به أن يعرّف الزرنوجي بأنه: عالم تربوي أو فقيه حنفي أو غير ذلك مما يتناسق مع شخصيته ومما يتوفر له الدليل.

وبهذه النسبة أيضاً عُرف رجل آخر هو النعمان بن إبراهيم الزرنوجي، ذكره صاحب الجواهر المضيئة[٢] في ترجمة المؤلف فقال: هو في طبقة النعمان بن إبراهيم الزرنوجي، وقد توفي ـ كما

---

(١) الموسوعة الإسلامية للمستشرقين ١٠/٣٤٥.
(٢) ٢/٣٦٤.

ذكر في موضع آخر[1] - عام ١٢٤٢/٦٤٠ في بخارى. لقبه: تاج الدين، وكان أديباً، وله «الموضح» في شرح مقامات الحريري.

٣ - شيوخه:

أخذ الزرنوجي العلم عن عدد من مشايخ وعلماء عصره المشهورين والمكثرين من التصنيف في الفقه والأدب، يجمعهم قاسم مشترك وهو كونهم من الأحناف. ولا شك أن دراسة المرء العلم على رجال من مدرسة فكرية ومذهبية واحدة، وخصوصاً المدارس التي تكونت لها جذور علمية عميقة ولعبت دوراً مجتمعياً هاماً، إن هذه الدراسة عليهم تترك بصماتها واضحة ثابتة على منهجه العلمي الذي لن يحمل سوى متابعة ذات التوجه الفكري ولا يحيد عن طريقه وذلك مما يمكن أن يدرك بسهولة تامة.

إن مرجعنا الرئيسي في التعرف على مشايخه هو كتابه فقد ذكر فيه عدداً منهم وأورد أقوالاً تنسب إليهم.

أما أشهر من أكثر النقل عنه في مواضع عديدة من الكتاب فهو برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني المتوفى عام ٥٩٣ هـ/١١٩٧ م وصاحب كتاب الهداية في الفقه وكثير من التصانيف وهو من كبار فقهاء الأحناف في عصره.

والآخرون فمنهم:

---

(١) ٢٠١/٢ و٣١٢.

- ركن الإسلام محمد بن أبي بكر المعروف بخواهر زاده أو إمام زاده، مفتي أهل بخارى وهو فقيه وأديب وشاعر، توفي عام ١١٧٧/٥٧٣ م
- حماد بن إبراهيم: فقيه وأديب ومتكلم توفي عام ٥٧٦ هـ/١١٨٠ م.
- فخر الدين الكاشاني: وأغلب الظن أنه أبو بكر بن مسعود الكاشاني صاحب كتاب (بدائع الصنائع) في الفقه، توفي عام ١١٩١/٥٨٧.
- فخر الدين قاضي خان الأوزجندي، له العديد من المؤلفات الفقهية وكان مجتهداً، توفي ١١٩٦/٥٩٢.
- الأديب المختار ركن الدين الفرغاني: فقيه وأديب وشاعر، المتوفى عام ١١٩٨/٥٩٤.

٤ - مؤلفاته:

عُرف برهان الإسلام الزرنوجي بأنه مؤلف كتاب «تعليم المتعلم»، ولم يشتهر كتابه بنسبته إليه عكس كثير من المصنفين، فقد ترجم له غير واحد بأنه (... مصنف كتاب تعليم المتعلم)(١). وهذا دليل على شهرة أمر الكتاب لأهميته مع قلة المعلومات حول صاحبه كما سبق ذكره.

---

(١) الجواهر المضيئة ٣٦٤/٢. الفوائد البهية ٥٤. الموسوعة العربية الميسرة ص٩٢٣.

عذا دلك فإننا نستنتج فائدة أخرى ، وهي أن هذا الكتاب هو المصنف الوحيد الذي كتبه الزرنوجي ولم يكن له نتاج علمي آخر ، لا في التربية ولا في الفقه أو غيره من العلوم طالما أن جميع من حكى عنه اكتفى بذكر كتابه هذا .

وعلى ذلك فإن ما كتبه المستشرق بلسنر في الموسوعة الإسلامية[1] من أن تعليم التعلم : (هو الكتاب الوحيد الذي بقي من مؤلفات الزرنوجي) يحمل في ضمنه التأكيد على أن هناك مؤلفات أخرى له وأنها ضاعت واندثرت . ونحن نعتبر أن ما قاله بلسنر هو محل ادعاء لأمر غير موجود طالما أنه لم يورد الدليل عليه ، صحيح أن الغزو المغولي الذي حدث أواخر أيام الزرنوجي وفي بلاده بالذات ربما يكون قد أباد كتباً له من جملة ما أباد ودمر ، إلا أن القضية تبقى في جانب الظن .

٥ ـ متى عاش الزرنوجي؟

لم نجد في المراجع سنة ولادة أو سنة وفاة الزرنوجي ، مما يصعب معه بادىء ذى بدء أن نعيّن بالضبط الفترة التي عاش فيها ، فكما أغفلت كتب التراجم ذكر معطيات كاملة حول شخصيته ، لم تنقل لنا كذلك ما يفيد عن السنوات التي اشتهر أمره بها أو ألّف كتابه خلالها .

في الكتابات الحديثة عن الزرنوجي وآرائه في التعلم ذُكرت سنة

(١) ٣٤٥/١٠ .

وفاته أنها عام ٥٩١ أو ٥٩٣ أو ٥٩٧[١] دون دليل أو اكتفى بذكر أنه من أبناء القرن السادس الهجري دون تحديد[٢].

وعند أول قراءتنا للمخطوط وكذلك النسخ المطبوعة تولد لدينا شك في صحة نقل من أورد سنة وفاته على الشكل المذكور، وقد غلب على ظننا أن وفاته تأخرت إلى ما بعد ذلك بكثير باعتبار أن بعض مشايخه الذين ذكرهم في الكتاب توفوا في العشر الأواخر من القرن السادس الهجري، ومن بديهيات الأمور أنه تلقى عليهم العلم شاباً مع كبر سنهم مما يرجح كونه قد عاش إلى بدايات القرن السابع الهجري.

وقد اطلعت على ما كتبه بلسنر في الموسوعة الإسلامية في بحثه عن الزرنوجي فقد أكد على تأخر وفاته عما ذكر دون أن يحددها ويرجّح أنه قد ألّف كتابه بعد عام ٥٩٣[٣]، وذلك بناء على الفرق الطبيعي للأعمار بينه وبين أساتذته. إن ما ذهبنا إليه بالنسبة إلى الشك في سنة وفاته يعنى - وإن يكن بلسنر قد سبقنا فيه - أن المنهج الذي اتبعناه في التعرف على هذه القضية مقبول إلى درجة ما، وخصوصاً أننا ذهبنا إلى تحديد وفاته بشكل أدق. فقد ذكر

---

(١) قارن «التربية في الإسلام» للأهواني ٢٣٩، «التعلم عند الزرنوجي» لعثمان و«الموسوعة العربية الميسرة» ٩٢٣ «ومعجم المؤلّفين» لحكالة ٤٣/٣.

(٢) «معجم المطبوعات» لسركيس ٩٦٩ «وقراءات في الفكر التربوي» للدكتور ناصر ٣٤٣/٢.

(٣) ذكر فيليب حتى في «تاريخ العرب» أن الكتاب أُلف عام ٦٠٠/١٣٠٢ (٤٩٧/٢).

آلوارت[1] أن الزرنوجي قد نبه ذكره حوالي عام ١٢٢٣/٦٢٠، ووجدنا ما يؤيده وذلك فيما كتبه القرشي في «الجواهر» من أن الزرنوجي هو في طبقة النعمان بن إبراهيم الزرنوجي المتوفي عام ٦٤٠ هـ. فإن لم يكن الزرنوجي قد توفي في ذلك العام - مع إمكانية حدوثه - فقد توفي قريباً لأنه عاصر النعمان وعاش في نفس الجيل أي الثلث الأول على الأقل من القرن السابع الهجري.

وبذلك يمكن لنا التأكيد على أن الزرنوجي قد عاش في الفترة ما بين منتصف القرن السادس إلى نهاية الثلث الأول من القرن السابع الهجري وعلى أن ما كُتب عن سنة وفاته وهمٌ. وهذا التحديد يعنينا بشكل خاص للحرص على صحة نقل كل ما يمس الزرنوجي من معلومات.

والزرنوجي - ككل انسان غالباً - ابن عصره وبيئته بأفكاره وعلومه ومعتقداته وهو أيضاً ككل مثقف وكاتب أو مشارك في ثقافة عصره يتأثر بواقع بيئته السياسي والاجتماعي والعلمي والحضاري ليقدم بعد ذلك نتاجاً يؤثر في واقعه، على اختلاف في درجة التأثير والتغيير.

فما هو عصر الزرنوجي؟ وما هي سمات تلك الفترة التي عاش فيها؟

---

(١) نقلاً عن الموسوعة الإسلامية ٣٤٥/١٠.

لعل القرنين السادس والسابع الهجريين حملا الكثير من ملامح القرون السابقة التي شهدت انفصالاً حقيقياً بين الأوضاع السياسية وبين ازدهار المدنية الإسلامية. ففي الوقت الذي نرى فيه الصراع السياسي وتفكك الدولة العظمى إلى إمارات ومناطق نفوذ، ندهش لما أنتجته تلك المدنية من أفكار وعلوم، وعلماء وأدباء في شتى نواحي المعرفة.

وهذان القرنان (السادس والسابع) وإن حملا تلك الملامح البارزة، فقد اختصا بمعاصرة الرياح العاتية التي ضربت شجرة الحضارة، وذلك من البدايات الأولى للاهتزاز حتى الهجمة العنيفة التي أطاحت بكثير من أجزاء كيان تلك الشجرة.

وعليه فمن كان ابن ذاك العصر سيحرص بالتأكيد على المشاركة قدر طاقته في المحافظة على ما لدى بيئته وزمانه، ورد الأمور إلى أصولها، وذلك كحد أدنى إن لم يستطع أن يعيد هو ما فقدته أمته خلال التصادم.

أما من ناحية المدنية الإسلامية فقد تابعت وقتئذ مسيرتها وازدهرت ثقافتها رغم كل الظروف الصعبة من حروب داخلية مدمرة ومن تعدد المذاهب الكلامية والفلسفية وكثرة الفرق والمذاهب. وقد قام السلاجقة بدور هام في إيجاد مكان ثابت للازدهار بعد أن قضوا نوعاً ما على الاهتزاز السياسي الذي كاد أن

يدمر الحضارة وأعادوا للخلافة العباسية بعض مظهرها، مع احتفاظهم بالسيطرة الفعلية لأنفسهم، وذلك فيما وراء النهر وفارس والعراق. والمضمون الثقافي لهذا الاستقرار النسبي كان في جهد السلاجقة بانشاء المدارس والمؤسسات التعليمية والمعاهد الدينية، والذي يمكن اعتباره العمل الأول من نوعه في التاريخ الإسلامي. وقد كانت المدرسة النظامية في نيسابور وبغداد أنموذجاً لتخريج العلماء وللنشر الثقافي والفكري المتطور.

وكذلك كان الحال أيام الأيوبيين، الذين دامت سلطتهم من سنة ٥٤٦ هـ إلى ٦٤٧ هـ، والذين تفوقوا على السلاجقة في رعاية العلم والثقافة بإنشاء المدارس المتعددة التخصصات والتي فتحت أبوابها لكل راغب في التعلم. كما وان كثرة عدد المدارس كان صورة واضحة المعالم عن عمق الثقافة وأثرها في المجتمع المسلم.

أما الوضع السياسي فقد كان يعاني في جبهتين: داخلية وخارجية. فالوضع الداخلي كان قد وقع في تمزق عنيف نتيجة صراع السلاجقة المتأخرين وبالذات أبناء السلطان السلجوقي ملكشا كاد يدمر ما رممه أوائلهم. أما المعاناة الخارجية فكانت نتيجة الهجمات الغربية التي سميت بالحروب الصليبية. وهذه الحروب ـ كما يرى ابن الأثير ـ سلسلة من الردود الغربية على التوسع الإسلامي والتي بدأت بالهجمة على الأندلس وغزو طليطلة عام ٤٧٨ هـ/١٠٨٥ م[١]. وقد تتابعت الحملات الصليبية على

(١) الكامل في التاريخ ٩/٩٤.

المشرق المسلم بشكل متواصل حتى بدايات القرن السابع الهجري.

ورغم أن السلاجقة المتصارعين نجحوا في رد الغزو الصليبي، فقد وجد الصليبيون لأنفسهم موطىء قدم في هذه البلاد، ولم يفلح في إزاحتهم عنه سوى السلطان الأيوبي صلاح الدين في معركته الكبرى لاستعادة بيت المقدس عام ٥٨٣/١١٨٧، ومن ثم طردهم نهائياً على يد السلطان المملوكي قلاوون (حكم من سنة ٦٧٨ ـ ٦٨٩) وابنه الملك الأشرف خليل (٦٨٩ ـ ٦٩٣). ومن ناحية أخرى تعرض العالم الإسلامي إلى ضربة عنيفة أخرى، أقوى من سابقتها، وكانت على يد التتار. وكان أثرهم في التدمير كبيراً لدرجة أنهم قضوا على كل مظهر حضاري، حتى أن المؤرخ ابن الأثير اعتبر أن وصفه لهذا الحدث سيكون (نعياً للإسلام والمسلمين)[1]. وقد بدأ غزوهم للعالم الإسلامي عام ٦١٧، بدءاً من بلادهم على حدود الصين إلى أطراف بلاد الشام، وبين هاتين المنطقتين دمروا كل ما وجد في طريقهم.

تلك لمحة تاريخية عن الفترة التي عاش فيها الزرنوجي بازدهارها وبكوارثها. ولا شك أن هذا التصادم الثقافي ـ الحربي مع الصليبيين، والتدميري مع المغول، أثار في نفوس المسلمين وعياً للخطر الثقافي عليهم ورغبة في التمسك بالأصول والعودة إلى الأخذ بمناهج القديم.

---

(١) الكامل في التاريخ ١٢/١٣٧.

ومن هنا فإن في طيات كتاب الزرنوجي لمحة من هذا التوجه الذي يعبّر عن مشاركة المؤلف في قضايا بيئته وعصره.

أما قضية العودة إلى الأصول والتمسك بمناهجه فهو أمر شديد الحساسية ويتطلب دقة في السلوك الفكري، فما حدث سابقاً في تلك الفترة وإن يكن معبّراً عن إيجابية في ضرورة الاعتماد على الجذور الحضارية الأصيلة إلا أنها كانت في ذات الوقت أثراً لردة فعل. وبرأينا إن ردات الفعل قلما تنتهج الطريق السوي الموصل للهدف. ولهذا، فإن العودة إلى الأصول أدت ببعض المسلمين وقتها إلى التقوقع الفكري وبالذات إلى التقوقع التربوي التعليمي، وذلك بحصر التربية والتعليم في ثوابت ثقافية لم تستطع الخروج منها طيلة قرون.

تقريب الكتاب

يحتل موضوع التعلم مكاناً بارزاً في علم النفس التربوي ، لما له من دور مهم في العملية التربوية التعليمية . وله أيضاً المكانة الرئيسية في علم النفس العام ، فإن كثيراً من العادات وأنماط السلوك والقيم والاتجاهات يمارسها الانسان بعد تعلّمها من خلال احتكاكه بظروف الحياة العامة . كما أنه من خلال دراسة التعلم تتمكن المؤسسات التربوية من وضع خطط التوجيه السليم لأفرادها لتصل بهم إلى الأهداف الموضوعة لهم[1] .

ومن هنا تأتي أهمية كتاب الزرنوجي عن (طريق التعلم) الذي يعطينا فهمه وتصور عصره للملامح العملية لكيفية تطبيق أسس النظرية الإسلامية التربوية . وهو في عرضه لتلك الملامح يتبنى بعض ما كان معروفاً قبله من الكتب والأبواب ـ والفصول المتخصصة في العلم والتربية ، كما يصف الملاحظات المبنيّة على التجارب الشخصية وخبرة معلميه . لذلك فإن عملية التعرف على (طريق التعلم) الذي وضعه الزرنوجي يجب أن تنتهج السلوك المعتدل في الحكم عليه ، فلا يبالغ المرء بالاعجاب به ويقول بسبق الزرنوجي لعلماء التربية الحديثة في بعض الأسس التعليمية ، ولا يبالغ أيضاً بالرفض ويصف الكتاب بعدم الأهمية بسبب بعض الآراء الواردة فيه التي لا تتجاوز مفاهيم عصره .

---

(١) أنظر كتاب (التعلم) للدكتور إبراهيم محمود ، المقدمة .

في ثلاثة عشرة فصلاً يعرض الزرنوجي تصوره لطريق التعلم، ويرى أن هذا الطريق هو الأسلوب الأمثل لعملية التعلم، وأن ما يعرضه هو نصيحة للمتعلمين يجب الأخذ بها وإلا فلن يتمكنوا مما يرغبون به (ص ٥٧).

١ - في ماهية العلم وفضله:

في الفصل الأول يتكلم المؤلف عن فرضية العلم، وأنها لا تتناول كل أنواع العلوم، لأن المسلم يفترض عليه « علم الحال ». وإذا كان علم الحال يدل على ما يحتاج إليها الانسان من معارف ضرورية له، فيدخل ضمنه العديد من العلوم، غير أن المؤلف وكثيرون بعده إلى أوائل القرن الهجري الماضي كانوا يقصرون « علم الحال » هذا على الأمور الدينية، تفسيراً لمفاهيم عصرهم التي ترتبط بالعلوم الدينية فقط. ويظهر لنا أن هذا الاصطلاح « علم الحال » طريف في تناسبه مع التطور البشري، فإن معاييره متحركة بحسب حاجات الانسان وأوضاعه في كل زمان ومكان.

كما يفرق الكاتب بين ما هو نافع من العلوم أو ضار، ويؤكد على تحريم « علم النجوم » لأنه يضر، أما تعلم « الطب » فيجوز لأنه « سبب من الأسباب » (ص ٦٣).

والمؤلف تلميذ المدرسة الفقهية التقليدية لا ينسى علم الفقه وضرورة تعلمه وإنما يحدد الضروري المفروض عيناً على كل مكلف، ويبين فرض الكفاية (ص ٦٥). كما يعتذر عن عدم الاشتغال بذكر كل فضائل العلوم « كيلا يطول الكتاب » (ص ٦٥).

٢ ـ النية حال التعلم:

إن عملية التعلم ممتدة بامتداد الحياة، فإن كانت بعض أنواع السلوك يتعرف الانسان عليها من خلال نظرة بسيطة إلا أن علوماً ومواقف محددة تتطلب دوافع ثابتة تمكن المتعلم من استمرارية هذه العملية فدور الدوافع في ذلك رئيسي ويرتبط ثباتها بالهدف الأخير من التعلم. وهنا يدعو المؤلف إلى خيرية التعلم التي يحددها هدف المتعلم، وتعيين الهدف مرتبط بالنية. ويطلب إلى المتعلم أن يكون تعلمه سبيلاً «لإقامة الدين» لا للازدياد من الأمور الدنيوية. ويرى أن طلب العلم جهد كبير يتطلب دافعاً قوياً، فلا يكن كل هذا «للدنيا الفانية» (ص ٦٨).

٣ ـ حرية المتعلم ومسؤوليته:

في الفصل الذي خصصه المؤلف لذكر ما يتعلق بـ(اختيار العلم، والأستاذ، والشريك) نجد أنه وعى دور المتعلم ومسؤوليته في رسم خط سير دراسته في انتقاء العلم الذي يدرسه، والأستاذ الذي يتلقى منه، والزميل الذي يشاركه تعلمه. وهذه الحرية المطلقة في التعلم كانت سمة من سمات التعليم عند المسلمين قديماً، إلا أن التربية الحديثة كفت المتعلمين مؤونة البحث في تفاصيل ذلك ولكن بقي للمتعلم حرية اختيار مؤسسة التعليم والتخصص.

ويؤكد المؤلف على ضرورة المشورة في سلوك طريق التعلم ليتمكن من الحصول على المعلومات التي تساعده في عملية الاختيار.

(ص ٧٣) كما عالج موضوع الثبات على ما تم اختياره، فقال (الثبات أصل كبير في جميع الأمور لكنه عزيز) (ص ٧٤).

٤ ـ تعظيم العلم وأهله

وفي هذا الفصل يستعرض المؤلف بعض الأدبيات تجاه العلم والمعلم والكتاب، ويستشهد لذلك بأقوال سائرة وخبرات بعض أساتذته، إلا أننا نلحظ في منهجه هذا ميلاً إلى الجمود والتقليد بل أحياناً إلى الغلو والتنطع، وذلك في اشتراط الطهارة للدرس (ص ٨٢) وفي كيفية الكتابة (ص ٨٤) وفي تقطيع الكتاب تسهيلاً للتدوين (ص ٨٥) وفي استعمال الحبر (ص ٨٥) ثم التعظيم المبالغ فيه للمعلم. بل يرى أيضاً أن عدم الالتزام بهذا السلوك يعرض المتعلم إلى الفشل في طلبه للعلم بل في حياته وعلاقته مع أهله، وعمره أيضاً (ص ٨١).

٥ ـ النشاط والاستعداد

في فصل (الجد والمواظبة والهمة) يعتدل منهج المؤلف في النصائح، فيرى أن العلم هدف عظيم وسلوك طريقه أمر شاق، فلا بد للمتعلم من الحيوية الدائمة والحركة المستمرة وممارسة كل نشاط من أجل التعلم وذلك بإيجاد النفقة والتعب بالنهار والسهر بالليل، شرط عدم إرهاق العقل والبدن، لأن نتيجة ذلك التعطيل عن الوصول للهدف. وهو في كل فصل يبدع في استخدام الدليل وإيراد الشاهد مما يدل على استيعابه التام للموضوع وحسن أسلوبه في

الخطاب. ويضيف إلى ذلك بعض النصائح الطبية المرتبطة ـ حسب رأيه ـ بالتعلم.

٦ ـ البرامج

ومنهجه العملي في كيفية التلقي والدرس والحفظ يضعه المؤلف في فصل عن (بداية السبق وقدره وترتيبه)، والسبق هو التردد على العلماء للأخذ منهم. فيرى أن بداية الأسبوع الدراسي تكون يوم الأربعاء، ويعلل لذلك بأسباب واهية استطراداً مع أسلوبه في تقليد مشايخه (ص ١٠٠)، ويراعي التدرج في زيادة مادة الدروس بما يناسب القدرة الذهنية للانسان، وذلك بتلقي الأمور المبسطة ثم الانتقال إلى الصعب منها، شرط ضرورة فهم واستيعاب كل ما يتعلق بالدرس ليتسنى للمتعلم الحفظ.

ثم يشترط للمتعلم القيام بنشاطات فكرية لاتقان ما تعلمه وذلك بأسلوب: المذاكرة، والمناظرة، والمطارحة، على أن ترتبط هذه النشاطات بالأخلاقيات العلمية. (ص ١٠٣).

ويضيف في هذا الفصل الذي بلغ فيه قمة من التوجيه التربوي، مؤكداً على احترام الوقت واستغلال كل إمكانية للتزود من العلم مع الانصراف التام إلى طلب العلم دون الاشتغال لتأمين النفقة المادية، ثم في سلوك المنهج العقلي مع أن المؤلف نفسه التزم بالتقليد دون إعمال العقل في كثير من توجيهاته (ص ١٠٦).

كما يولي مسألة الحفظ أهمية كبرى عن طريق الاهتمام بالتكرار (الاسترجاع).

إن للاسترجاع أي استعادة المادة دور في التعلم فهو يفيد في التعرف على المستوى الحقيقي في العلم وكذلك في تأكيد حفظ المادة وفي اختبار القدرة التعلمية وكيفية تعديلها[1]. ويضع المؤلف منهجاً للتكرار الموزع على عدة أيام يتفق مع ما وضعه علماء التربية الحديثة بناء على التجارب التي قاموا بها (ص ١١٠)، وكذلك ينبّه إلى عدم الانقطاع الطويل عن العلم الذي يذهب بالهمة في تحصيل العلم (ص ١١١).

٧ ـ التوكل

وفي هذا الفصل يذهب الكاتب مذهب التصوف بترك الدنيا، وعدم الاهتمام بأمر الرزق، والاهتمام بشؤون الآخرة (ص ١١٤)، ثم يستطرد في ذكر بعض شروط التعلم التي كان من الأولى أن تذكر في فصول أخرى خصصت لها كتحمل التعب والاستمرار في التعلم.

٨ ـ وقت التحصيل

يقرر المؤلف ما ذُكر في كل كتب التربية الإسلامية من أن وقت التعلم لا ينحصر بفترة معينة بل يتناول العمر كله (من المهد إلى اللحد) (ص ١١٧) مع أهمية تنوع المواد الدراسية خوف الملل.

٩ ـ الأخلاقيات العلمية

العلم والأخلاق أمران متلازمان، أفاض بذكرهما جميع

(١) أنظر كتاب «التعلم» للدكتور إبراهيم محمود ص١١٥ ـ ١١٧.

التربويين المسلمين معبرين عن نظرية الإسلام فيهما . وأكده المؤلف في فصل (الشفقة والنصيحة) ، فطالما أن العلم معرفة للحياة لا بد أن تكون ممارستها أخلاقية ، لذلك فلا فصل مطلقاً بين العلم والأخلاق .

١٠ - الاستفادة

ويضع المؤلف في هذا الفصل منهجاً عملياً في انتهاز كل فرصة للاستزادة من العلم وذلك عن طريق :

- الاستعداد المستمر للكتابة بحمل القلم والمحبرة .
- عدم إضاعة الوقت .
- ملازمة الشيخ والحرص على ذلك .
- الاستحضار الذهني التام خلال التلقي .
- الخضوع للمعلم للتمكن من الحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات .

١١ - الورع في حال التعلم

في هذا الفصل يتابع المؤلف عرض أخلاقيات العلم ، ويصل به إلى غاية صوفية عالية فيها أصول إسلامية يشوبها الغلو ، فينصح بالابتعاد عن :

- الشبع .
- كثرة النوم .
- كثرة الكلام فيما لا ينفع .
- التحرز عن أكل طعام السوق .

- الغيبة.
- مجالسة أهل الفساد.

والاهتمام بـ:

- مجاورة الصالحين.
- الجلوس باستقبال القبلة.
- الأخذ بالسنن
- الاكثار من الصلاة.

١٢ - الحفظ

الحفظ عملية ملازمة للتعلم «فما نتعلمه يجب أن نحفظه، وعلى قدر احتفاظنا به على قدر ما تحقق هذه العملية أغراضها»[١].

اهتم الزرنوجي بالحفظ وبحث في فصل خاص عن (ما يورث الحفظ وما يورث النسيان)، وبالفعل فإن للحفظ عوامل تؤثر به بحثها علماء التربية، وقد أورد المؤلف ما يتصل بها من السلوك العلمي وكذلك الروحي والصحي، وتكلم عن الجد والمواظبة (ص ١٣٠) وأثرهما في الحفظ، ويذكر أن للحالة النفسية أثر عليه كذلك: فصلاة الليل وقراءة القرآن (ص ١٣٠) تضفي الصفاء النفسي على المتعلم وتساعده على التلقي، وكذلك الحال في النسيان الذي يعني سقوط المعلومات من الذهن، فذكر أن ما يؤثر به «المعاصي والهموم وكثرة الاشتغال والعلائق» (ص ١٣٢).

---

(١) التعلم ص١٠٧.

أما أن تكون بعض العادات المعيشية هي المؤثرة أيضاً في الحفظ والنسيان (ص ١٣٣) فلا يمكننا من خلاله الحكم على المؤلف أنه نزل إلى مستوى العامة في الاعتقاد[١]، لأن ما قاله يدخل ضمن مفاهيم عصره واعتقاداته التي تأثر بها المؤلف بشكل أكيد، وهو الرجل التقليدي الذي نعرف عنه احترامه وتقليده لمشايخه وعاداتهم.

١٣ - وكذلك الحال في فصل (ما يجلب الرزق وما يمنع وما يزيد في العمر وما ينقص)، فإن المؤلف رغبة في أن يتيح للمتعلم الانصراف التام للعلم قدم له النصائح التي تساعده على العلم والحفظ، فالعمر المديد والصحة الحسنة والراحة النفسية نتيجة الحصول على النفقة المادية هي العوامل المعينة للتعلم. لذلك أورد المؤلف ما يعتقده طريقاً لتوفر هذه العوامل، أخذاً من أحاديث صحيحة وموضوعة وأقوال سائرة أو معتقدات شعبية ليس لها أصل ديني لا تخرج عما قلناه في الكلام عن الفصل السابق.

وبهذا العرض للكتاب يتكون لدينا تصور عن المنهج التعلّمي الذي وضعه الزرنوجي. ورغم كل سلبيات الكتاب فقد أغنى المكتبة التربوية التراثية، وشارك في صياغة التربية الإسلامية من زاوية التعلم بشكل موجز فكان كتابه بسيط التناول واضح الفكرة، عميق النظرة، مؤدياً هدفه الذي حدده لنفسه في بداية الكتاب ومعبراً عن شمولية وعيه للتربية بدوافعها وأهدافها.

---

(١) الأهواني ص٢٣٩.

وتقديراً لأهمية الكتاب واستفادة من قيمته التربوية التي بيّناها آنفاً احتفى الفكر التربوي به احتفاءً كبيراً، فقد عرف كتاب «تعليم المتعلم» للزرنوجي واشتهر في الآفاق واهتمت به الأوساط العلمية قديماً وحديثاً، في الشرق والغرب، منذ ظهوره وإلى الآن.

فعن القديم مثلاً، نجد ما كتبه محيي الدين القرشي المتوفى عام ١٣٧٣/٧٧٥ في مصنفه «الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية» مبيناً حرصه على اقتناء الكتاب والاستفادة مما ورد فيه، كما يحمد الله تعالى على ما يسره له من القدرة على تملكه أو الاطلاع عليه، وذلك لأن العلماء والمتعلمين يتنافسون في الحصول عليه لندرة وجوده ولقيمته العلمية.

يقول في ص (٢/٣٦٤):

(كتاب تعليم المتعلم طريق التعلم، وهو نفيس مفيد، يشتمل على فصول، نحواً من ثلاثة كراريس، وهو عزيز في بلادنا، حصلته بحمد الله).

وفي عام ١٥٨٨/٩٩٦ قام الشيخ إبراهيم بن اسماعيل، من علماء ذلك القرن المعروفين، بشرح كتاب الزرنوجي، وقدمه

للسلطان العثماني مراد الثالث[١]، وقد طبع هذا الشرح في القاهرة سنة ١٣١١[٢].

كما ذكره أيضاً العلامة اللكنوي الهندي المتوفى عام ١٣٠٤/١٨٨٧، صاحب كتاب «الفوائد البهية في تراجم الحنفية»، مفتخراً بدراسته للكتاب ويربط ذلك بفائدته التربوية مع صغر حجمه.

يقول عنه: «طالعت كتاب تعليم المتعلم، وهو كتاب قليل الحجم، كثير المنافع، وهو نفيس مفيد»[٣].

وكتب حاجي خليفة في «كشف الظنون»[٤]: (قال التقي في طبقات الحنفية: كتاب تعليم المتعلم، وهو نفيس جداً).

وكنتيجة لهذه القيمة فقد جرى الاهتمام بطبعه ونشره في العديد من البلدان:[٥].

فطبع في مرشد آباد سنة ١٢٦٥ هـ/١٨٥٢ م.

---

(١) حكم من العام ٩٨٢/١٥٧٤ إلى ١٠٠٤/١٥٩٥.
(٢) كشف الظنون لحاجي خليفة ص٤٢٥، معجم المطبوعات لسركيس ص١١، بروكلمان (الملحق) ١/٨٣٧.
(٣) الفوائد البهية ص٥٤.
(٤) ص٤٢٥.
(٥) انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، الملحق ١/٨٣٧، الأصل الألماني، ومعجم المطبوعات لسركيس ص٩٦٩.

وطبع في قازان عام ١٨٩٨ م ، وأعيد طبعه عام ١٩٠١ مع شرح وجيز في آخره .

وطبع في تونس عام ١٢٨٦ هـ/١٨٦٩ م .

كما طبع في الآستانة (استانبول) عام ١٢٩٢ هـ/١٨٧٥ م نقلاً عن طبعة تونس ، وأعيد طبعه فيها عام ١٣٠٧/١٨٩١ ، وكذلك في عام ١٣٣٢/١٩١٤ .

وطبع في مصر سنة ١٣٠٠ هـ/١٨٨٣ م .

وفي سنة ١٣٠٧ هـ/١٨٨٩ م .

وفي سنة ١٣١١ هـ/١٨٩٤ م مع شرح الشيخ إبراهيم بن إسماعيل في المطبعة الميمنية .

وفي سنة ١٣١٩ هـ/١٩٠١ م[١] .

وفي المطبعة الرحمانية عام ١٣٤٩/١٩٣١ في ٧٩ صفحة .

ثم طبعته دار إحياء الكتب العربية في القاهرة دون تدوين التاريخ . ثم لم نعثر على طبعة أخرى للكتاب بعد ذلك سوى ما نشره د . ناصر في الجزء الثاني من (قراءات في الفكر التربوي العربي والإسلامي) عام ١٩٧٧ ، حيث أورد مقتطفات منه نقلاً عن الطبعة الأخيرة التي ذكرناها .

كما قام الدكتور سيد عثمان بمناقشة آراء الزرنوجي التربوية ضمن دراسة مخصصة لهذا الموضوع نشرها عام ١٩٧٧[١] . وكتابه

---

(١) سيد عثمان ص٢٩ .

هذا بحث حلل فيه نظرية الزرنوجي وربطها بالنظريات التعليمية الحديثة، لكنه لم يهتم بنص الكتاب ولم ينشره بل اكتفى بالاعتماد على طبعة دار إحياء الكتب العربية.

واهتم المستشرقون من الغربيين بالكتاب، فقد كان معروفاً لديهم لأنه ترجم إلى اللاتينية، ولكن ليس لدينا تاريخ الترجمة.

وطبع في ألمانيا سنة ١٧٠٩ م باعتناء المسيو ريلندوس.

وطبع في سنة ١٨٣٨ م في ليبزيج باعتناء المسيو كاسباري مع مقدمة للمسيو فليشر[٢].

وفي عام ١٩٣٨ ترجم إبراهيم سلامة بعض فصول من الكتاب إلى اللغة الفرنسية مع عرض لآرائه في التربية.

وفي أربعينات هذا القرن الميلادي تُرجم الكتاب إلى الإنجليزية[٣] وقد سبقت ترجمته إلى التركية أيضاً، وضعها الشيخ عبد المجيد بن نصوح بن إسرائيل، سماها: «إرشاد الطالبين في تعليم المتعلمين»[٤].

عملنا في الكتاب

اعتمدنا في نشر الكتاب على ثلاث مخطوطات له[٥]:

(١) مكتبة الأنجلو - مصرية - القاهرة.
(٢) بروكلمان، الملحق ٨٣٧/١، معجم المطبوعات ص٩٦٩.
(٣) نقلاً عن سيد عثمان ص٣٠.
(٤) كشف الظنون ص٤٢٥.
(٥) اقتصرنا على هذه النسخ مع وجود عدد من النسخ والمخطوطة للمتن وشرحه.

النسخة الأولى:

محفوظة في مكتبة المحقق الأستاذ زهير الشاويش، ضمن مجموع يحوي عدة كتب في موضوع التعليم تحت رقم ٣٨٤١.

وتاريخ النسخ المدون على المخطوطة هو سنة ١١٥١ هـ أي حوالي عام ١٧٣٨ م وقد تم النسخ في مدرسة سراي، في مدينة قيصرية.

عدد صفحات المخطوط: ٤٧ صفحة، عدا صفحة الغلاف المدون عليها تعليقات بالعربية وبالتركيبة القديمة (العثمانية).

مسطرتها: الطول ٢٠ سم، العرض ١٢ سم، وعدد الأسطر في كل صفحة ١٧ سطراً.

كتبت المخطوطة بخط واحد، واضح وسهل القراءة، والكتابة بالحبر الأسود وأما عناوين الفصول فدونت بالأحمر.

في أسفل كل صفحة أدرج الناسخ تعقيبات تدل على أول كلمة في الصفحة التالية، وهذا يؤكد تتابع النص وعدم سقوط أوراق منه. وقد اعتمدنا هذه المخطوطة أصلاً.

الثانية:

محفوظة في مكتبة الأستاذ زهير الشاويش، برقم ١١١٩. تتألف من أربعين ورقة.

مسطرتها: الطول ١٩ سم، العرض ١٢ سم، وعدد الأسطر في كل صفحه ١١.

مدون عليها اسم المؤلف: شيخ الإسلام الإمام برهان الإسلام

الزرنوجي ، وعليها بعض التعليقات باللغة التركية القديمة (العثمانية) وأولها :

(هذا كتاب تعليم المتعلم ، بسم الله ..) ثم ذكرت الفصول مع أرقام الورقات التي هي فيها .

وهي جميلة الخط ، فارسية القاعدة ، كتبت بالحبر الأسود ، وأوائل السطور والفصول وكلمة (شعر) وبعض الكلمات بالحبر الأحمر . وكاتبها : سليمان بن محمد القره حصار ، من غير أن يذكر تاريخ النسخ ، غير أن في الصفحة ٤٠ كلام مطموس لعله سنة ١١١١ هـ ، وعليها تملك من غير تاريخ باسم : محمد بن مصطفى باشا ، وتملك ثانٍ سنة ١٠٠٥ ، وتملك الفقير درويش السيد محمد وختم عام ١١١٨ هـ .

وهي ذات ورق سميك وغلاف متقن جميل جداً ، مصابة ببعض الأرضة من غير أن تؤذي الكلام .

الثالثة :

هي متن «شرح تعليم المتعلم» تأليف الشيخ إبراهيم بن إسماعيل . (أنظر ص ٣٩) .

وهي محفوظة في مكتبة الأستاذ زهير الشاويش برقم ٣١٧٣ .

كتبت في عام ٩٨٦ هـ .

ورقاتها : ١٢٨ ورقة

مقاس صفحاتها : ١٥/١٩ .

وهي نسخة متقنة. وعليها استدراكات بخط الناسخ مما يدل على أنه قابلها على نسخة المؤلف أو نسخة أخرى متقنة.

وعليها تعليقات بخط مغاير لخط الناسخ، وتدل على علم صاحب هذه التعليقات.

وقد وجدنا هذا الشرح بعد أن تم تنضيد الكتاب، لذلك لم نستفيد من متنه سوى التأكد من مواضع الاشكالات، ولم نراجع الشرح.

ونظراً لأن الكتاب طبع قديماً عدة مرات، قمنا بمقابلة نص المخطوطات على نسختين مطبوعتين، هما:

١ ـ طبعة دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة، دون تاريخ، عدد صفحاتها ٦٣، ومدون على صفحة العنوان أنها روجعت على النسخة المطبوعة بالمطبعة الميمنية بمصر عام ١٣١٩، ومطبعة أحمد كامل باستانبول ١٣٣٢.

٢ ـ طبعة مجهولة المكان والتاريخ، إذ أن أوراقها الأولى والأخيرة ساقطة، وهي غير الطبعة السابقة الذكر مما يظهر جلياً من الأوراق ونوعية الحروف، ورقم آخر صفحة فيها: ٦٨، وربما تكون طبعة المطبعة الرحمانية عام ١٣٤٩/١٩٣١.

واستفدنا من المقابلة على الشكل التالي:

١ ـ عثرنا على إضافات وردت في المخطوطين، دون المطبوع،

أشرنا إلى بعضها بقوسين معقوفين (. . .) .

٢ ـ أدرجنا إضافات من المطبوع وتممنا النص المخطوط ، وأغلب الإضافات متمم لمعنى أو نص أو بعض أبيات الشعر ، أشرنا إليها بوضعها بين حاصرتين [. . .] .

إلا أننا لم نشر في الحواشي إلى حروف كل طبعة ، فإذا ورد في الحاشية : « من المطبوع » فإنه يعنى أية طبعة كانت من الطبعات التي اعتمدناها .

أما العنوان الذي تحمله المخطوطتين فهو : « تعليم المتعلم في طريق التعلم » ، وقد آثرنا حذف خرف (في) وأثبتنا العنوان الذي ذكر في العديد من المخطوطات والمراجع ، علماً أن هناك اختلافات وردت في عنوان الكتاب ، فقد عرف أيضاً باسم :

- تعليم المتعلمين على الكمال .
- تعليم المتعلم لتعلم طريق التعلم .
- تعليم المتعلم طريق التعلم .

والعنوان الأخير نقله أغلب مؤلفي كتب التراجم ممن ذكر الزرنوجي ، لذا فإننا نعتمده دون غيره ، وبما يعود الاختلاف في العنوان إلى أخطاء النساخ أو تصرف القراء .

ولما كانت نسخ الكتاب كثيرة متداولة فقد اعتراها ما يعتري مثلها من المخطوطات من تغيير في بعض الكلمات والحروف

والألقاب والأدعية وما إليها ، مما اضطرنا إلى أن نتخير الأصلح دون الالتزام إلى الإشارة في كل موضع من هذه المواضع حيث لا أهمية مطلقاً في ذلك.

ومن هذا ، يكون في نسخة : رحمة الله عليه ، وفي الثانية : رحمه الله ، أو رحمة الله عليهما ، أو الربط بالفاء أو الواو أو ثم وما إليه.

غير أننا وضعنا بعض الزيادات المفيدة بين حاصرتين [ ] من غير تعليق.

ولن يخفى على القارىء الكريم أن الرجوع إلى المخطوطات قد يسّر زيادات وتصحيحات افتقرت إليها النسخ المطبوعة ، ولم التزم الإشارة إلى كل هذه الفروق وإنما اكتفيت ببعضها.

وردت في هوامش المخطوطتين تعليقات وشروح أثبتنا بعضها مما رأينا فائدة في ذكره مما له علاقة بالكتاب ، وصرفنا النظر عن شروح الكلمات المتداولة ، وكذلك عن الإشارات إلى صاحب الضمير في الجمل الطويلة نسبياً.

صححنا الأخطاء الاملائية والاعرابية الواردة بكثرة في النص ، وما كان له وجه صحيح أبقيناه كما هو ، وتصحيحنا هذا لا يؤثر على القيمة التاريخية للنص.

عملنا على عزو الآيات القرآنية بالإشارة إلى السورة ورقم الآية ، وتخريج الأحاديث النبوية بالإشارة إلى مصادرها ، ودرجة

صحة بعضها، وأبيات الشعر برد بعضها إلى قائليها، كما حاولنا تصحيح ما كان فيها من خطأ.

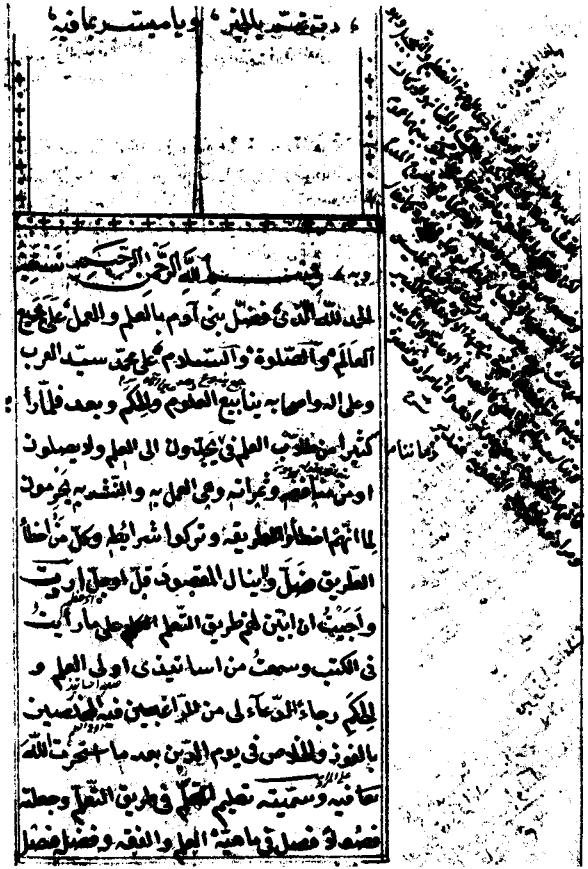
ومما يجدر ذكره أننا ضبطنا وصححنا بعض أسماء الاعلام الواردة في النص وترجمنا للاعلام بشكل موجز.

وهذا يعني أننا حاولنا أن نقدم للقارىء نصاً يمكن أن يعتمده ويطمئن إلى صحته. وهذا غير بعض التعليقات التي كتبناها لرد بعض الأفكار الواردة إلى الأصل الإسلامي، وغير ذلك.

وقد وجدنا من المناسب وضع صور بعض المخطوطات للكتاب وشرحه التي كانت بين أيدينا.

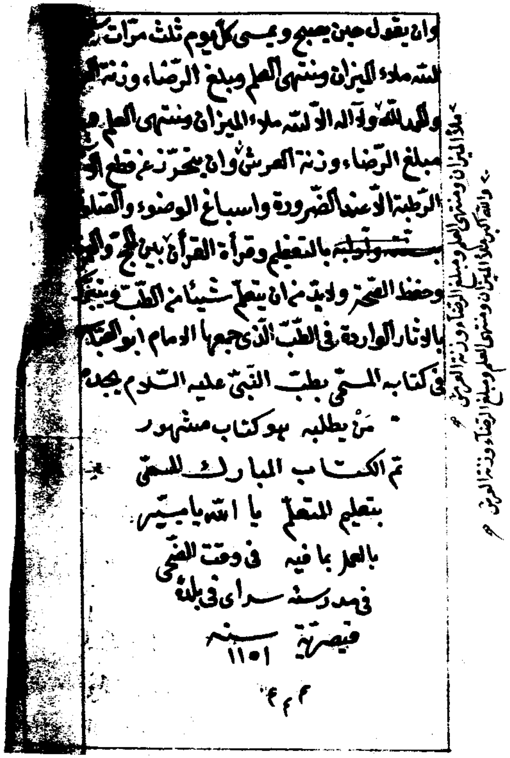
ومن هذا يتضح أن هدفنا من نشر الكتاب هو خدمة وتحقيق النص التاريخي، والوصول به إلى درجة عالية من الصحة والتكامل، وهو أيضاً بعث للكتاب من جديد، كما أنه بالإضافة إلى التحقق عن شخصية الزرنوجي يكون عملنا مساهمة في بعث التراث التربوي والتعليمي الإسلامي الذي يشكل الجذور الحضارية للتعلم والتعليم في الوقت الحاضر.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي فضل بني آدم بالعلم والعمل على جميع العالم والصلوة والسلام على محمد سيد العرب والعجم وعلى آله وأصحابه ينابيع العلوم والحكم وبعد فلما رأيت كثيرا من طلاب العلم في زماننا يجدون إلى العلم ولا يصلون أو من منافعه وثمراته وهي العمل به والنشر يحرمون لما أنهم أخطأوا طريقه وتركوا شرائطه وكل من أخطأ الطريق ضل ولا ينال المقصود قل أو جل أردت وأحببت أن أبين لهم طريق التعلم على ما رأيت في الكتب وسمعت من أساتيذي أولي العلم والحكم رجاء الدعاء لي من الراغبين فيه المخلصين بالفوز والخلاص في يوم الدين بعد ما استخرت الله تعالى فيه وسميته تعليم المتعلم طريق التعلم وجعلته فصولا فصل في ماهية العلم والفقه وفضله فصل



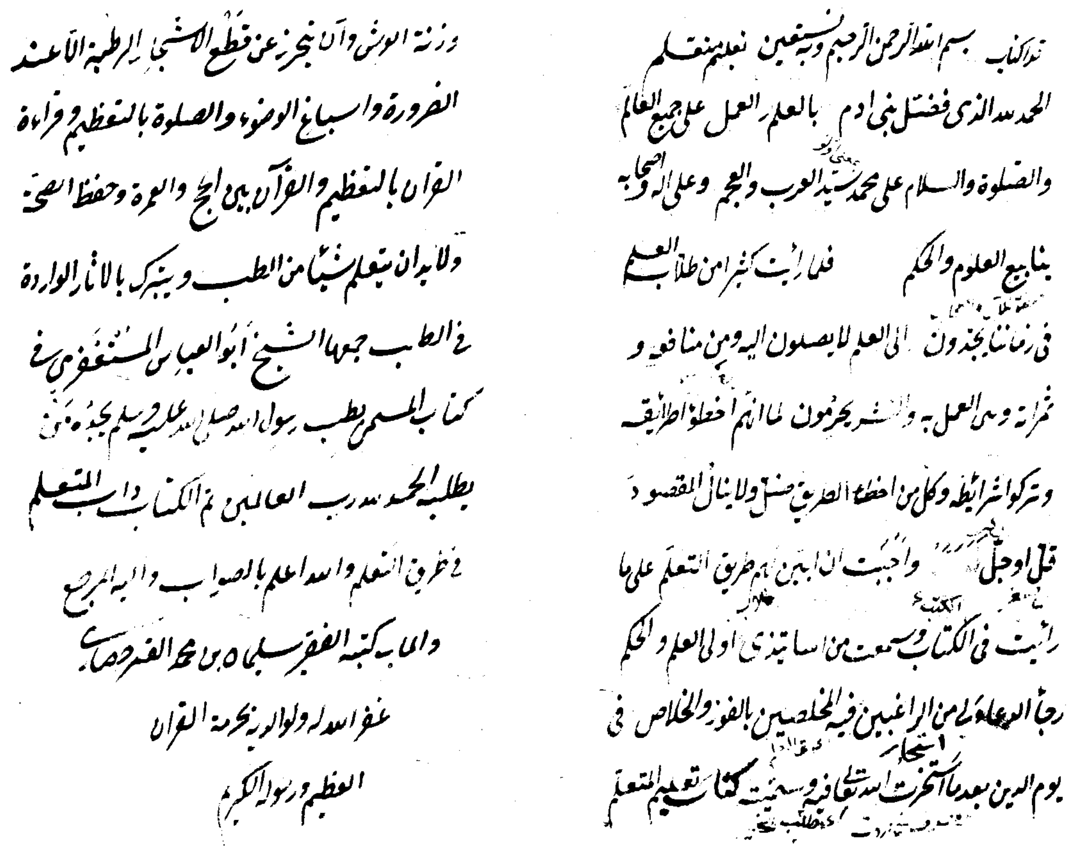
وأن يقول حين يصبح ويمسي كل يوم ثلث مرات سبحان الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضاء وزنة العرش والحمد لله ولا إله إلا الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضاء وزنة العرش وأن يحترز عن قطع … الرطبة إلا عند الضرورة وإسباغ الوضوء والصلاة بخشوع وأدبه بالتعظيم وقراءة القرآن … وحفظ الصحة ولا بد من أن يتعلم شيئا من الطب ويتبرك بالآثار الواردة في الطب الذي جمعها الإمام أبو العباس في كتابه المسمى بطب النبي عليه السلام يجده من يطلبه وهو كتاب مشهور

تم الكتاب المبارك المسمى
بتعليم المتعلم يا الله يا ميسر
بالعمل بما فيه في وقت الضحى
في مدرسة سراي في بلدة
قيصرية سنة
١١٥١

ملأ الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضاء وزنة العرش

والله أكبر ملأ الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضاء وزنة العرش

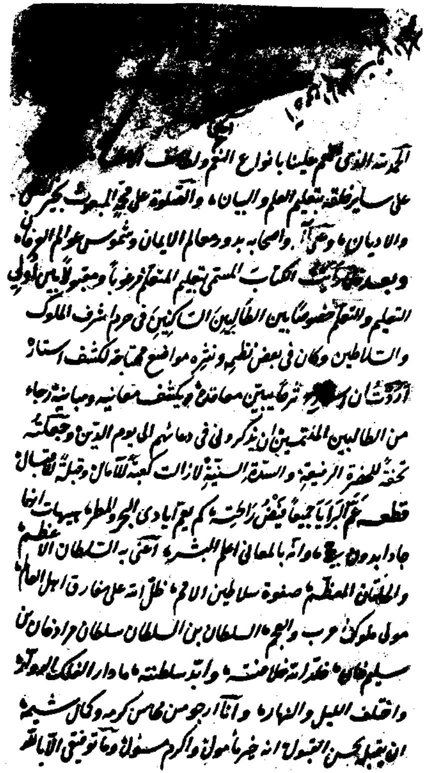
الصفحتان: الأولى والأخيرة من المخطوط الأول: الأصل وجميع هذه الاصول المخطوطة من مكتبة الشيخ زهير الشاويش

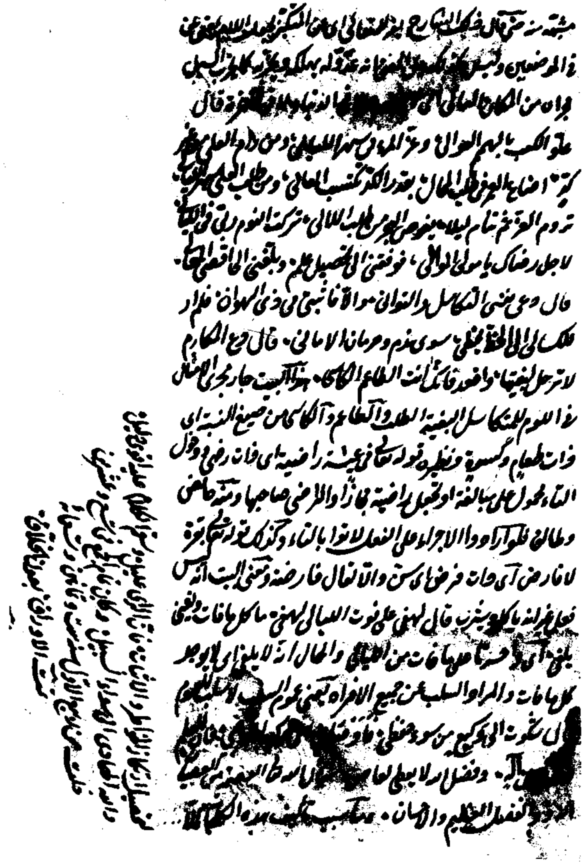


هذا كتاب بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين تعليم المتعلم
الحمد لله الذي فضل بني آدم بالعلم والعمل على جميع العالم
والصلوة والسلام على محمد سيد العرب والعجم وعلى آله وأصحابه
ينابيع العلوم والحكم فلما رأيت كثيرا من طلاب العلم
في زماننا يجدون إلى العلم لا يصلون إليه ومن منافعه و
ثمراته وهي العمل به والنشر يحرمون لما أنهم أخطأوا طريقه
وتركوا شرائطه وكل من أخطأ الطريق ضل ولا ينال المقصود
قل أو جل فأحببت أن أبين لهم طريق التعلم على ما
رأيت في الكتب وسمعت من أساتذي أولي العلم والحكم
رجاء الدعاء لي من الراغبين فيه المخلصين بالفوز والخلاص في
يوم الدين بعد ما استخرت الله تعالى فيه وسميته كتاب تعليم المتعلم

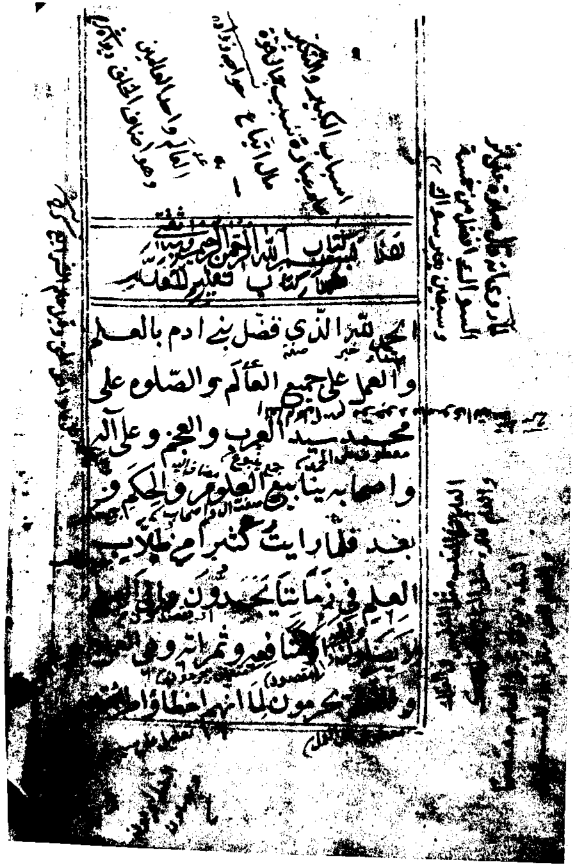
وزنة الورس وأن يحترز عن قطع الأشجار الرطبة إلا عند
الضرورة وإسباغ الوضوء والصلوة بالتعظيم وقراءة
القرآن بالتعظيم والقرآن بين الحج والعمرة وحفظ الصحة
ولا بد أن يتعلم شيئا من الطب ويتبرك بالآثار الواردة
في الطب جمعها الشيخ أبو العباس المستغفري في
كتاب المسمى بطب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجده من
يطلبه الحمد لله رب العالمين تم الكتاب آداب المتعلم
في طريق التعلم والله أعلم بالصواب وإليه المرجع
والمآب كتبه الفقير سليمان بن محمد الفرحصاري
عفا الله له ولوالديه بحرمة القرآن
العظيم ورسوله الكريم

الصفحتان : الأولى والأخيرة من المخطوط الثاني



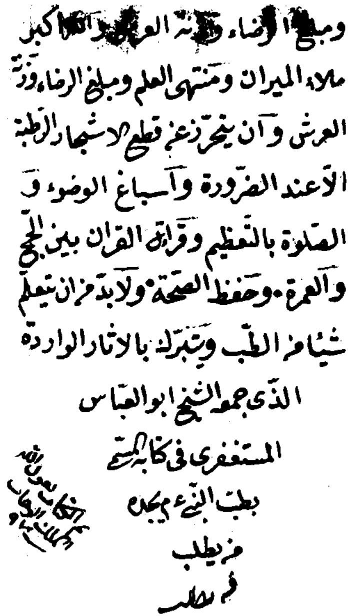


الصفحتان : الأولى والأخيرة من المخطوط الثالث وهو شرح « تعليم المتعلم »



بسم الله الرحمن الرحيم
كتاب تعليم المتعلم

الحمد لله الذي فضل بني آدم بالعلم
والعمل على جميع العالم والصلوة على
محمد سيد العرب والعجم وعلى آله
وأصحابه ينابيع العلوم والحكم و
بعد فلما رأيت كثيرا من طلاب
العلم في زماننا يجدون ...
لا يصلون ... منافعه وثمراته ...
و... يحرمون لما أنهم أخطأوا ...



وبلغ الرضاء ... العرش الأكبر
ملاء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضاء وزنة
العرش وأن يحترز عن قطع الأشجار الرطبة
إلا عند الضرورة وإسباغ الوضوء و
الصلوة بالتعظيم وقران القران بين الحج
والعمرة وحفظ الصحة ولا بد من أن يتعلم
شيئا من الطب ويتبرك بالآثار الواردة
الذي جمعه الشيخ أبو العباس
المستغفري في كتابه المسمى
بطب النبي عليه السلام
من يطلب
...

الصفحتان: الأولى والأخيرة من مخطوط وجدناه بعد تنضيد الكتاب وراجعنا مواطن الإشكالات ولم نشر إليه -

بسم الله الرحمن الرحيم

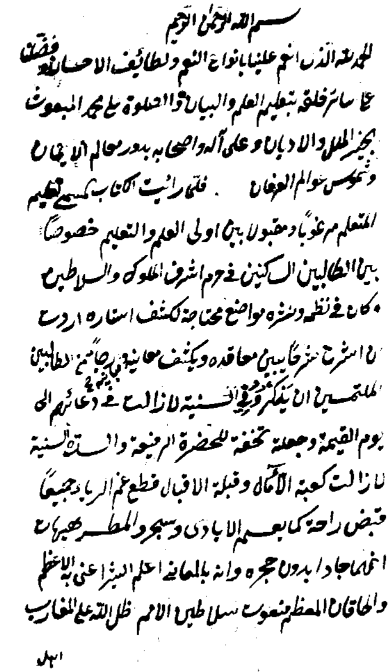
الحمد لله الذي فضّل بني آدم بالعلم والعمل على جميع العالم والصلاة
على محمد سيد العرب والعجم وعلى آله وأصحابه ينابيع العلوم والحكم
فلما رأيت كثيرا من طلاب العلم في زماننا يجدّون إلى العلم
لا يصلون ومن منافعه وثمراته وهي العمل به والنشر يحرمون لما أنهم
أخطأوا طريقه وتركوا شرائطه وكل من أخطأ الطريق ضل لا ينال المقصود
قلّ أو جلّ فأردت وأحببت أن أبيّن لهم طريق التعلم على ما رأيت
في الكتب وسمعت من أساتذتي أولي العلم والحكم رجاء الدعاء لي
من الراغبين فيه المخلصين بالفوز والخلاص في يوم الدين بعدما
استخرت الله تعالى فيه وسميته تعليم المتعلم طريق التعلم وجعلته
فصولا فصل الأول في ماهية العلم والفقه وفضله فصل
في النية في حال التعلم فصل في اختيار الأستاذ والعلم والشريك
والثبات فصل في تعظيم العلم وأهله فصل في الجد والمواظبة والهمة
فصل في بداية السبق وقدره وترتيبه فصل في التوكل فصل في وقت
التحصيل فصل في الشفقة والنصيحة فصل في الاستفادة
في الورع في حال التعلم فصل فيما يورث الحفظ والنسيان فصل

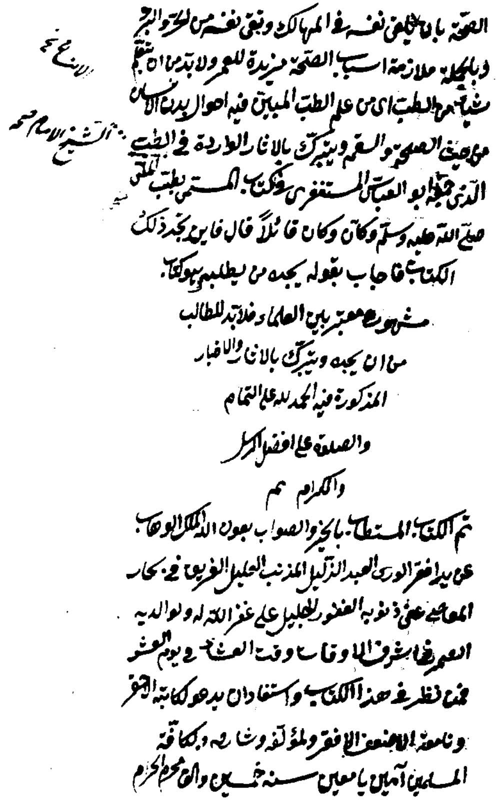
فيما

باري المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو
العزيز الحكيم وما يزيد في العمر البر وترك الأذى وتوقير الشيوخ وصلة
الرحم وأن يقول حين يصبح ويمسي كل يوم ثلث مرات سبحان الله ملء
الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وزنة العرش لا إله إلا الله ملء
الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وزنة العرش والله أكبر ملء الميزان
ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وزنة العرش وأن يحترز عن قطع أشجار
الرطبة إلا عند الضرورة وإسباغ الوضوء والصلاة بالتعظيم والقران
بين الحج والعمرة وحفظ الصحة ولا بد أن يتعلم شيئا من الطب و
يتبرك بالآثار الواردة في الطب الذي جمعه الشيخ أبو العباس المستغفري
في كتابه المسمى طب النبي عليه السلام يجد من يطلبه والحمد لله على التمام والصلاة والسلام
على محمد أفضل الرسل الكرام وآله وأصحابه العظام

تم الكتاب بعون الله الملك العزيز الجبار على يد
الفقير المحتاج إلى رحمة الله الغفار
ابراهيم بن خضر القنوي وطنا وولادة
غفر الله له ولوالديه وأحسن إليهما وإليه
ولمن نظر إليه ويقرأ الفاتحة
لكاتبه سنة خمس وثمانين
والفراغ في شهر ذي الحجة
في يوم الأربعاء
من وقت الضحى
تاريخه
١٠٨٥

الصفحتان : الأولى والأخيرة من مخطوط آخر وجدناه بعد تنضيد الكتاب وراجعنا مواطن الاشكالات ولم نشر إليه


بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي انعم علينا بانواع النعم ولطائف الاحسان وفضلنا
على سائر خلقه بتعليم العلم والبيان والصلوة على محمد المبعوث
بخير الملل والاديان وعلى آله واصحابه بدور معالم الايمان
وشموس عوالم العرفان . فلما رأيت الكتاب المسمى بتعليم
المتعلم مرغوبا ومقبولا بين اولى العلم والتعليم خصوصا
بين الطالبين الساكنين في حرم اشرف الملوك والسلاطين
وكان في نظمه ونثره مواضع محتاجة لكشف استاره اردت
ان اشرح شرحا يبين معاقده ويكشف معانيه [illegible] للطالبين
الملتمسين ان يذكروني [illegible] السنية لا زالت في دعائهم الى
يوم القيمة وجعلته تحفة للحضرة الرفيعة والسدة السنية
لا زالت كعبة الآمال وقبلة الاقبال قطع عمر الرماد جميعا
قبض راحة كما يعم الاباد [illegible] والمطر [illegible]
انهما جادا بدون [illegible] وانه بالمعاني اعلم [illegible] الاعظم
والخاقان المعظم منعوت سلاطين الامم ظل الله على المغارب
اهل


الصحة بان لا يلقي نفسه في المهالك ويقي نفسه من الحر والبرد
وبالجملة ملازمة اسباب الصحة مزيدة للعمر ولا بد من ان يتعلم
شيئا من الطب اي من علم الطب المبين فيه احوال بدن الانسان
من حيث الصحة والسقم ويتبرك بالآثار الواردة في الطب
الذي جمعه ابو العباس المستغفري في كتاب المسمى بطب النبي
صلى الله عليه وسلم وكان وكان قائلا قال فاين يجد ذلك
الكتاب فاجاب بقوله يجده من يطلبه وهو كتاب
مشهور معتبر بين العلماء فلا بد للطالب
من ان يجده ويتبرك بالآثار والاخبار
المذكورة فيه الحمد لله على التمام
والصلوة على افضل الرسل
والكرام تم
تم الكتاب المستطاب بالخير والصواب بعون الله الملك الوهاب
على يد افقر الورى العبد الذليل المذنب العليل الغريق في بحار
المعاصي [illegible] ذنوبه الغفور الجليل علي غفر الله له ولوالديه
[illegible] في اشرف الاوقات وقت العشاء في يوم العشر
[illegible] نظر في هذا الكتاب واستفاد ان يدعو لكاتبه الحقير
وناسخه الاضعف الافقر ولمؤلفه وشارحه ولكافة
المسلمين آمين يا معين سنة خمسين والف محرم الحرام

الصفحتان : الأولى والأخيرة من مخطوط آخر لشرح « تعليم المتعلم »

كتابُ
تَعليمِ المتعَلِّمِ طَريقَ التعَلُّم

الحمدُ للهِ الذي فَضَّلَ بني آدمَ بالعلمِ والعَمَلِ على جميعِ العالَمِ، والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ سَيِّدِ العَرَبِ والعجمِ، وعَلَى آلهِ وأصحابهِ ينابيعِ العُلُومِ والحِكمِ.

وبَعْدُ

فلما رأيتُ كثيراً من طُلّاب العلمِ في زماننا يَجدُّون إلى العلم ولا يَصِلون [ومن منافعه وثمراته - وهي العمل به والنشر - يحرمون][1] لما أنّهم أخطأوا طريقَهُ وتركوا شرائطه، وكل من أخطأ الطريقَ ضَلَّ، ولا ينالُ المقصودَ قَلَّ أو جَلَّ، فأردتُ وأحببتُ أن أبيّنَ لهم طريق التعلم على ما رأيتْ في الكتبِ وسمعتُ من أساتيذي أولي العِلْمِ والحِكَم، رجاءَ الدعاءِ لي من الراغبين فيه، المُخلصين، بالفوز والخلاص في يوم الدين، بعدما استَخَرْتُ الله تعالى فيه، وسمّيته:

« تعليم المتعلم طريق التعلم »[2]

---

(١) زيادة من المخطوطة الثانية وبعضها في المطبوع. انظر ص٤٦ من المقدمة.

(٢) في الأصل والمخطوطين: .. في طريق التعلم، وربما تكون (في) من إضافة الناسخ أو =

وجعلته فصولاً :

١ ـ فَصْلٌ: في ماهِيّةِ العلمِ ، والفِقْهِ ، وفَضْلِه .

٢ ـ فَصْلٌ: في النيةِ في حالِ التَعَلُّم .

٣ ـ فَصْلٌ: في اختيارِ العِلْمِ ، والأستاذِ ، والشريكِ ، والثّبات .

٤ ـ فَصْلٌ: في تعظيمِ العِلْمِ وأهْلِهِ .

٥ ـ فَصْلٌ: في الجِدِّ والمواظبةِ والهِمَّةِ .

٦ ـ فَصْلٌ: في بدايةِ السَّبْقِ وقَدْرِهِ وتَرْتِيبه ..

٧ ـ فَصْلٌ: في التّوكُّلِ .

٨ ـ فَصْلٌ: في وقتِ التّحْصيل .

٩ ـ فَصْلٌ: في الشّفَقَةِ والنصيحة .

١٠ ـ فَصْلٌ: في الاستفادةِ واقتباسِ الأدب .

١١ ـ فَصْلٌ: في الوَرَعِ في حَالةِ التعلم .

١٢ ـ فَصْلٌ: فيما يُورِثُ الحِفْظَ ، وفيما يُورِثُ النِّسْيَانَ .

١٣ ـ فَصْلٌ: فيما يَجْلِبُ الرزقَ ، وفيما يَمْنَع ، وما يزيدُ في العُمُرِ ، وما ينقص .

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

وهمه ، خصوصاً أن عنوان الكتاب كما هو أعلاه نقله غير واحد من مؤلفي كتب الرجال واكتفينا بالاسم الذي اشتهر به الكتاب والأمر قريب على كل حال . راجع المقدمة ص٤٦ .

فصل
في ماهية العلم، والفقه، وفضله

قال رسول الله ﷺ:
« طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة »[١].
اعلم:
بأنه لا يفترض على كل مسلم، طلب كل علم، وإنما يفترض عليه طلب علم الحال كما يقال:

« وأفضل العلم علم الحال، وأفضل العمل حفظ الحال »[٢].
ويفترض على المسلم طلب ما يقع له في حاله، في أي حال كان[٣]، فإنه لا بُدَّ له من الصلاة فيفترض عليه علم ما يقع له في

(١) رواه ابن ماجة كما رواه البيهقي في شعب الإيمان إلى قوله « مسلم » وقال: متنه مشهور واسناده ضعيف، ونقل الإلباني أن البعض حكم بصحته. أما كلمة « ومسلمة » فيقول عنها: لا أصل لها البتة، أنظر « مشكاة المصابيح » رقم ٢١٨ طبع المكتب الإسلامي وهو توجه صحيح لأن كلمة مسلم يشمل « المسلمة ».
(٢) أي من الضياع والفساد. (الناسخ). انظر المقدمة ص ٣١.
(٣) وهو علم أصول الدين وعلم الفقه، والمراد من الحال ههنا: الأمر العارض للإنسان من الكفر والإيمان والصلاة والزكاة والصوم وغيرها من الأحوال، لا الحال المقابل للستقبل من الصحة والمرض والسفر والحضر. (الناسخ) وانظر المقدمة ص٣١.

صلاته بقدر ما يؤدي به فرض الصلاة، ويجب عليه بقدر ما يؤدي به الواجب، لأن ما يُتوسل به إلى إقامة الفرض يكون فرضاً، وما يتوسل به إلى إقامة الواجب يكون واجباً[١].

وكذلك في الصوم، والزكاة، إن كان له مال، والحج إن وجب عليه.

وكذلك في البيوع إن كان يتّجر.

قيل لمحمد بن الحسن[٢]، رحمة الله عليه: لما لا تصنّف كتاباً في الزهد؟

قال: قد صنّفتُ كتاباً في البيوع، يعني: الزاهد من يحترز عن الشبهات والمكروهات في التجارات.

وكذلك في سائر المعاملات والحِرف، وكل من اشتغل بشيء منها يُفترض عليه عِلْمُ التحرز عن الحرام فيه.

وكذلك يُفترض عليه علمُ أحوال القلب من التوكل والإنابة والخشية والرضى، فإنه واقع في جميع الأحوال.

وشَرَفُ العلم لا يَخْفَى على أحدٍ إذ هو المختَصُّ بالإنسانية لأن

---

(١) قاعدة أصولية معروفة يفرد لها فصول خاصة في كتب أصول الفقه.

(٢) محمد بن حسن الشيباني أخذ العلم عن أبي حنيفة وتتلمذ لأبي يوسف تفقه بفقه أهل الحديث وأهل الرأي معاً، له الفضل في تدوين فقه أبي حنيفة، وله العديد من المؤلفات وروايته لموطأ الإمام مالك مشهورة، أصله من حرستا بدمشق، نشأ بالكوفة وتوفي بالريّ عام ١٨٩ هـ/٨٠٥ م.

جميع الخِصَال سوى العلم، يَشْتَرِكُ فيها الإنسانُ وسائر الحيوانات: كالشجاعة والجراءة والقوة والجود والشفقة وغيرها سوى العلم.

وبه أظهر الله تعالى فضل آدم عليه السلام على الملائكة، وأمرهم بالسجود له[1].

وإنما شَرُفَ العلمُ بكونه وسيلةً إلى (البر)[2] والتقوى، الذي يستحق بها المرء الكرامةَ عند الله، والسعادة الأبدية، كما قيل لمحمد بنِ الحسن، رحمة الله عليهما شعراً:

تَعَلَّم فإن العلمَ زينٌ لأهلهِ ... وفَضْلٌ وعُنوانٌ لكُلِّ المحامِدِ
وكُنْ مستفيداً كلَّ يومٍ زيادةً ... من العلمِ واسبحْ في بُحورِ الفوائِدِ
تَفَقَّهْ فإن الفِقْهَ أفضلُ قائدٍ ... إلى البرِّ والتقوى وأعدلُ قاصِدِ
هو العَلَمُ الهادي إلى سُنَنِ الهُدَى ... هو الحِصْنُ يُنجي من جميع الشدائدِ
فإن فقيهاً واحداً متورعاً ... أشدُّ على الشيطانِ من ألفِ عابدِ[3]

---

(١) في قوله تعالى: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا...﴾ الآية، سورة البقرة، الآية ٣٤، وقد تكرر هذا في أكثر من آية في القرآن الكريم.

(٢) كلمة (البر) زيادة من المخطوطين، ولم نجدها في المطبوع.

(٣) المعنى الوارد في البيت الأخير حديث رواه الترمذي وابن ماجه، وأورده الماوردي في أدب الدنيا والدين ص٢٣ كجزء من حديث ينسب إلى رسول الله ﷺ برواية الدار قطني والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه.
وفي هامش المخطوط الأصل: قال الشافعي رضي الله عنه:

تغرّب عن الأوطان في طلب العلى ... وسافر ففي الأسفار خمس فوائد =

(والعلم وسيلةٌ إلى معرفةِ: الكبر، والتواضع، والألفة، والعفة، والاسراف، والتقتير، وغيرها)[1]، وكذلك في سائر الأخلاق نحو الجود، والبخل، والجبن، والجراءة.

فإن الكبر، والبخل والجبن والإسراف حرام، ولا يمكن التحرز عنها إلا بعلمها، وعلم ما يُضَادها، فيفترض على كل إنسان علمها.

وقد صنّف السيد الإمام الأجل الأستاذ الشهيد ناصر الدين أبو القاسم[2] كتاباً في «الأخلاق» ونعم ما صنّف، فيجب على كل مسلم حفظها.

= تفريج هم واكتساب معيشة ... وعلم وآداب وصحبة ماجد
فإن قيل: في الأسفار ذل وغربة ... مشقة شمل وارتكاب شدائد
فموت الفتى خير له من حياته ... بدار هوان بين واش وحاسد
(أنظر ديوان الشافعي ص٥٢).

وفائدة:

لقد شمّرتُ ذيلي طول عمري ... لخدمة ما به إتمام فخري
هو الفقه الذي قد جل قدراً ... فجل بقدره قدري وذكري
به نلت المعالي في حياتي ... به عزي وجاهي طول عمري
وإكثار الصلاة بلا دعاء ... كرمي النبل يرمى في الذباب
عبادة الجاهل من غير علم ... كقرطاس تراه بلا كتاب

(١) زيادة من المخطوط الأصل والعبارة مضطربة في المخطوط الثاني.

(٢) هو الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، أبو القاسم، أديب لغوي مفسر حكيم، كثير التآليف توفي عام ١١٠٨/٥٠٢ (كشف الظنون ٣٦).

وأما حفظ ما يقع في الأحايين ففرض على سبيل الكفاية، إذا قام البعض في بلدة سقط عن الباقين، فإن لم يكن في البلدة من يقوم به اشتركوا جميعاً في المأثم، فيجب على الإمام أن يأمرهم بذلك، ويجبر أهل البلدة على ذلك.

قيل: إن علم ما يَقَعُ على نفسه في جميع الأحوال بمنزلة الطعام لا بدّ لكل واحد من ذلك.

وعلم ما يقع في الأحايين بمنزلة الدواء يحتاج إليه (في بعض الأوقات)[١].

وعلم النجوم بمنزلة المرض، فتعلمه حرام، لأنه يضر ولا ينفع، والهرب عن قضاء الله تعالى وقدره غيرُ ممكن.

فينبغي لكل مسلم أن يشتغل في جميع أوقاته بذكر الله تعالى والدعاء، والتضرع، وقراءة القرآن، والصدقات [الدافعة للبلاء][٢] (والصلاة)[٣]، ويسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة[٤] ليصون الله عنه تعالى البلاء والآفات، فإن من رُزق الدعاء لم يحرم الإجابة.

فإن كان البلاء مقدراً يصيبه لا محالة، ولكن يير الله عليه[٥]

---

(١) زيادة من المخطوطين، وفي النسخ المطبوعة: حين المرض فقط.

(٢) زيادة من المطبوع الأصل.

(٣) زيادة من المخطوط الأصل.

(٤) يشير إلى حديث «اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة». وقد ورد بغير هذه الألفاظ، كما ورد الأمر بسؤال الله العفو والعافية.

(٥) غير واضحة في الاصول ولعلها: ييسر.

ويُرزقه الصبر ببركة الدعاء.

اللهم إذا تَعلّم من النجوم قدر ما يعرف به القبلة، وأوقات الصلاة فيجوز ذلك[1] وأما تَعَلُّم علم الطب فيجوز، لأنه سبب من الأسباب فيجوز تعلمه[2] كسائر الأسباب.

وقد تداوى النبي عليه السلام[3]،

وقد حُكي عن الشافعي[4] رحمة الله عليه أنه قال:

العلم علمان: علم الفقه للأديان، وعلم الطب للأبدان، وما وراء ذلك بُلْغَة مجلس[5].

وأما تفسير العلم: فهو صفة يتجلّى بها المذكور لمن قامت هي به كما هو.

---

(١) يشير هنا إلى الفرق بين علم «النجوم» وهو تأثيرها على حياة الناس وهو محرم، وبين علم «الهيئة» الذي هو علم الفلك المباح بل المأمور به.

(٢) من المخطوط الثاني وأحد الشروح.

(٣) كما أمر عليه الصلاة والسلام بالتداوي «يا عباد الله تداووا» رواه الإمام أحمد والترمذي والدارمي وابن ماجه، وقد خصص الإمام ابن القيم فصلاً عن التداوي والأمر به في كتابه «زاد المعاد» كما أن له «الطب النبوي» وغيره ألف في ذلك أيضاً.

(٤) الشافعي: هو الإمام محمد بن إدريس، الذي ينسب إليه المذهب المشهور، توفي في مصر عام ٢٠٥ هـ/٩٢٠ م.

(٥) وقد روي في هذا المعنى حديث «العلم علمان: علم الأبدان وعلم الأديان» أورده الشوكاني في «الفوائد» ٨٨١ قائلاً: قال الصغاني: موضوع. وبلغة المجلس: الشيء الذي لا قيمة له!

والفقه: معرفة دقائق العلم مع نوع علاج[1].

قال أبو حنيفة رحمة الله عليه:

« الفقه معرفة النفس ما لها وما عليها ».

وقال:

« ما العلم إلا للعمل به، والعمل به ترك العاجل للآجل »

فينبغي للإنسان أن لا يغفل عن نفسه، ما ينفعها وما يضرها، في أُولها وآخرها، ويستجلب ما ينفعها ويجتنب عما يضرها، كي لا يكون عقلُهُ وعلمه حجة عليه فيزداد عقوبة، نعوذ بالله من سخطه وعقابه.

وقد ورد في مناقبِ العلم وفضائله، آياتٌ وأخبارٌ صحيحة مشهورة[2] لم نشتغل بذكرها كي لا يطولَ الكتاب.

---

(١) قال الجرجاني في التعريفات « الفقه في اللغة عبارة عن فهم غرض المتكلم من كلامه، وفي الاصطلاح: هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية، وقيل: هو الإصابة والوقوف على المعنى الخفي الذي يتعلق به الحكم (ص٧٣) وجملة (مع نوع علاج) حذفت وقشطت في المخطوط الثاني.

(٢) تجد في كل كتب الحديث أبواباً مخصصة للعلم ولذكر فضائله والحث عليه، كما تجد في كتب العلم روايات وأخباراً حول هذا الموضوع، انظر مثلاً: إحياء علوم الدين للغزالي، أدب الدنيا والدين للماوردي، جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر و« اقتضاء العلم العمل » للخطيب البغدادي وغيرها كثير.

فصل
في النية في حال التعلم

ثم لا بد له من النية في زمان تعلم العلم، إذ النية هي الأصل في جميع[١] الأفعال لقوله عليه السلام:

« إنما الأعمالُ بالنيات » حديث صحيح[٢].

[روى] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

« كم من عمل يتصور بصورة عمل الدنيا، ثم يصير بحسن النية من أعمال الآخرة، وكم من عمل يتصور بصورة عمل الآخرة ثم يصير من أعمال الدنيا بسوء النية »[٣].

وينبغي أن ينوي المتعلمُ بطلب العلم رضاءَ الله والدار الآخرة، وإزالةَ الجهلِ عن نفسِهِ، وعن سائر الجهّال، وإحياءَ الدين وإبقاءَ الإسلام، فإن بقاءَ الإسلامِ بالعلم، ولا يصح الزهد والتقوى مع الجهل[٤].

---

(١) في المخطوط الثاني: الأحوال.
(٢) رواه البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
(٣) لم أجد حديثاً بلفظه، ومعناه صحيح.
(٤) قال الإمام الجنيد المتوفى سنة ٢٩٧ هـ/٩١٠م: « طريقنا الكتاب والسنة والعلم » وكم في الزهد الجاهل من الطامات.

وأنشدنا الشيخُ الإمام الأجلّ الأستاذ برهان الدين[1] صاحب «الهداية» لبعضهم شعراً:

فسادٌ كبيرٌ عالم مُتَهَتِّكٌ وأكبرُ منهُ جاهلٌ متنسّكٌ[2]
هما فتنةٌ للعالمين عظيمةٌ لمن بهما في دينِه يتمسكُ

وينوي به: الشكرَ على نعمة العقل، وصحة البدن، ولا ينوي به إقبالَ الناس عليه، ولا استجلابَ حُطامِ الدنيا، والكرامة عند السلطان وغيره.

وقال محمد بن الحسن رحمة الله عليهما:
«لو كان الناس كلهم عبيدي لأعتقتهم وتبرأت عن ولائهم».
[وذلك لأن] من وجدَ لذةَ العلمِ والعَمَلِ به، قَلّما يرغبُ فيما عند الناس.

أنشدنا الشيخُ الإمامُ الأجلُّ الأستاذُ قِوَامُ الدين حَمّاد بن

(١) هو الإمام أبو الحسن علي بن أبي بكر المرغيناني، كان فقيهاً حافظاً مفسراً محدثاً جامعاً لعلوم عصره له العديد من المؤلفات، منها كتابه «الهداية» في الفقه الحنفي وبه اشتهر ولهذا الكتاب عديد من الشروح وقد خرّج أحاديثه الزيلعي والحافظ ابن حجر العسقلاني، وهو أستاذ الزرنوجي، توفي بسمرقند عام ١١٩٧/٥٩٣، (الجواهر ٣٨٣/١، التاج ٣١) ونسبته إلى مرغينان: بلدة بما وراء النهر، خرج منها جماعة من الفضلاء (معجم البلدان ٢٧/٨).

(٢) وعلى هامش المخطوط الثاني: قال علي بن أبي طالب، رضي الله عنه أنه قال بهذا المعنى: «قصم ظهري رجلان: عالم متهتك وجاهل متنسك».

إبراهيم بن إسماعيل الصفار الأنصاري[1] إملاءً لأبي حنيفة رحمة الله عليه :

مَنْ طَلَبَ العلمَ للمَعَاد　　فازَ بفضلٍ من الرشادِ
فيالَخُسران طالبيه　　لنيلِ فَضْلٍ من العبادِ

اللهم إلا إذا طَلَبَ الجاهَ للأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ ، وتنفيذِ الحق ، وإعزازِ الدين لا لنفسه وهواه ، فيجوزُ ذلك بقدر ما يُقيمُ به الأمْرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر .

وينبغي لطالب العلم : أن يتفكرَ في ذلك ، فإنه يتعلمُ العلمَ بجهدٍ كثير ، فلا يصرفه إلى الدنيا الحقيرة القليلة الفانية .

(قال النبي ﷺ :
« اتقوا الدنيا ، فوالذي نفس محمد بيده إنها لأسحر من هاروت وماروت »)[2] .

شعر :

هي الدنيا أقلُّ من القليل　　وعاشِقُها أذلُّ من الذليلِ

(١) من أهل بخارى ، من بيت علم وزهد ، كان فقيهاً أديباً ، كان يؤم الناس يوم الجمعة ويخطب غيره ، توفي بسمرقند عام ٥٧٦/١١٨٠ ، (الجواهر المضيئة ١/٢٢٥) .
وكان في الأصلين المخطوطين : الصفاري .

(٢) الزيادة من المخطوط الأصل فقط ، والحديث منكر لا أصل له ، أنظر « سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة » للألباني ٣٤ .

تُصِمُّ بسحرها قوماً وتُعمي … فهم مُتَحيِّرونَ بلا دليلِ[1]

وينبغي لأهلِ العلمِ أنْ لا يُذِلَّ نَفْسَهُ بالطَّمَعِ في غير المطمع ويحترز عمّا فيه مذلةٌ العلم وأهله.

ويكون متواضعاً، والتواضع بين التكبر والذلة، والعفة كذلك، ويعرفُ ذلك في كتاب «الأخلاق».

أنشدني الشيخُ الإمامُ الأستاذُ ركنُ الدين المعروف بالأديب المختار[2] شعراً لنفسه:

إنّ التواضعَ من خِصالِ المتقي … وبه التّقيُّ إلى المعالي يرتقي
ومن العجائب عُجْبُ من هو جاهلٌ … في حالِهِ أهو السعيدُ أم الشقي
أم كيفَ يُختَمُ عمرُه أو رُوحُهُ … يَوْمَ النَّوَى مُتَسفِّلٌ أو مرتقي
والكبرياء لربنا صفةٌ له … مخصوصةٌ فتجنّبَها واتقي

قال أبو حنيفة رحمة الله عليه لأصحابه:
«عَظِّمُوا عمائمكم ووسِّعوا أكمامكم».

---

(١) وفي حاشية المخطوط الأول:

إنما الدنيا كظل زائل … أو كضيف بات ليلاً وارتحل
أو كحلم قد رآه نائم … فإذا ما ذهب النوم بطل

وأصل البيت الثاني:

أو كنوم قد رآه نائم … فإذا ذهب النوم بطل

وقد عدلناه للضرورة الشعرية.

(٢) محمد بن أبي بكر بن يوسف، ركن الدين الفرغاني، كان فقيهاً أديباً، توفي في مرغينان عام ٥٩٤/١١٩٦. وفي المخطوط الأصل: ركن الإسلام. =

وإنما قال ذلك لئلا يُستخفَ بالعلم وأهله[1].

وينبغي لطالب العلم أن يُحَصِّل كتابَ الوصية التي كَتَبَها أبو حنيفة رحمة الله عليه ليوسف بن خالد السمتي[2] عند الرجوع إلى أهله[3]، يجدُهُ من يطلب العلم[4].

وقد كان أستاذُنا شيخُ الإسلام برهان الدين[5] عليُّ بن أبي بكر قدَّس الله روحه العزيز أمرني بكتابته عند الرجوع إلى بلدي فكتبته، ولا بد للمدرس والمفتي في معاملاتِ الناس منه. وبالله التوفيق.

---

(١) أي ينبغي للمتعلم أن يظهر بمظهر حسن يكسبه الاحترام تعظيماً للعلم والعلماء.

(٢) في الأصل المخطوط: أبو يوسف بن خالد السهمي، وفي النسخ الأخرى: يونس بن خالد السمتي، ثم وجدته في المخطوط الثاني على الصواب، ويوسف السمتي هذا هو أحد أصحاب أبي حنيفة وكثير الأخذ عنه، قال الشافعي: كان رجلاً من الخيار، وروى له ابن ماجه، أقبل عليه الناس ثم تخلى لعبادة المولى توفي ١٨٩/٨٠٥ (الجواهر المضيئة ٢/٢٢٨).

(٣) في البصرة.

(٤) وهي وصية يدور مجملها حول النهي عن التكبر، أورد د. أحمد شلبي قسماً منها في كتابة «تاريخ التربية الإسلامية» ص٣١٦، وقال: الوصية بكاملها مدونة في مخطوط محفوظ بجامعة استانبول، وقد وجدنا منها نسخة أخرى في مكتبة الشيخ زهير الشاويش برقم ٣٨٥. وهناك وصية أخرى منسوبة لأبي حنيفة، وموضوعها: العقيدة، وقد اطلعت على مخطوطة في شرح الوصية، شرحها محمد بن محمود الشهير بأكمل الدين البابرتي شارح الهداية المتوفى عام ٧٨٦ هـ/١٣٨٤ م، والمخطوطة محفوظة في مكتبة زهير الشاويش تحت رقم ١٢٨٥.

(٥) في المخطوط الثاني والمطبوع: برهان الأئمة.

فصل
في اختيار العلم والأستاذ والشريك، والثبات

وينبغي لطالب العلم أن يختارَ من كل علمٍ أحسَنَهُ[١] وما يحتاجُ إليه في أَمْرِ دينه في الحال، ثم ما يحتاجُ إليه في المآل.

ويقدّم علم التوحيد والمعرفة ويعرِفَ اللهَ تعالى بالدليل، فإن إيمان المقلد - وإن كان صحيحاً عندنا - لكن يكون آثماً بترك الاستدلال[٢].

ويختار العتيق دون المحدثات[٣]، قالوا: عليكم بالعتيق وإياكم والمحدثات،وإياك أن تشتغلَ بهذا الجدال الذي ظَهَرَ بعد انقراضِ الأكابر من العلماء، فإنه يُبْعِدُ عن الفقه ويُضيّع العمر ويُورثُ الوحشةَ والعداوةَ، وهو من أشراطِ الساعة وارتفاعِ العلم والفقه،

(١) أحسن كل علم: ما كان من جوهره وصريحه دون المناقشات والخلافات.
(٢) يشير إلى أن معرفة الدليل واجب على كل قادر.
(٣) يريد بالعتيق ما كان عليه السلف ومنهم الإمام أبي حنيفة في كتابه «الفقه الأكبر» ما تم الاتفاق عليه، والحديث: ما لا زال الخلاف فيه قائماً.

كذا ورد في الحديث[١].

- أما اختيار الأستاذ: فينبغي أن يختارَ الأعلَمَ والأورعَ والأسنّ، كما اختار أبو حنيفةَ، رحمة الله عليه، حمّادَ بن سليمان[٢]، بعد التأمل والتفكر، وقال:

وجدته شيخاً وقوراً حليماً صبوراً في الأمور »[٣].

وقال: ثَبَتُّ عند حماد بن سليمان فَنَبَتُّ[٤].

- وقال أبو حنيفة رحمة الله عليه:

« سمعتُ حكيماً من حكماء سمرقند[٥] قال: إن واحداً من طلبة العلمِ شاوَرَني في طلبِ العلم، وكان قد عَزَمَ على الذهاب إلى بُخارى[٦] لطَلَب العلم[٧].

---

(١) يشير إلى ما رواه الديلمي عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: « تعلموا العلم قبل أن يرفع. فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إلى ما عنده، وعليكم بالعلم وإياكم والتنطع والتبدع والتعمق وعليكم بالعتيق ».

وإلى حديث « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء » رواه الشيخان والترمذي.

(٢) حماد بن سليمان الأشعري: من التابعين، كان واسع العلم فقيهاً، أخذ عنه أبو حنيفة أكثر علمه ولزمه ثمانية عشر عاماً، توفي ١٢٠ هـ/٧٣٨.

(٣) وقال عنه أيضاً: ما رأيت أفقه من حماد. (الجواهر المضيئة، ٢/٤٥٤).

(٤) في المطبوع: فنميت.

(٥) سمرقند: قال عنها ياقوت: « بلد معروف مشهور بما وراء النهر، وقيل إنه من أبنية ذي القرنين، دخلها قتيبة بن مسلم سنة ٨٧ هـ » المعجم ٥/١٢١.

(٦) بخارى: من أعظم مدن ما وراء النهر، كانت عاصمة السامانيين، خرج منها أعلام، أشهرهم: محمد بن إسماعيل البخاري (معجم البلدان، ٢/٨١ - ٨٦).

(٧) من هنا إلى قول الحكيم في الصفحة (٧٤) كلام معترض.

وهكذا ينبغي أن يشاوِرَ في كل أمر ، فإن الله تعالى أَمَرَ رسولَه عليه الصلاة والسلام بالمشاورة في الأمور[1] ولم يكن أحدٌ أفْطَنَ منه ، ومع ذلك أُمِرَ بالمشاورة ، وكان يُشاور أصحابَه في جميع الأمور حتى حوائج البيت[2] .

قال عليّ كرم الله وجهه :
« ما هلك امروٌ عن مشورة »[3] .
قيل[4] .

« [الناس] رجل [تامّ] ونصفُ رجل ، ولا شيء فالرجل : من له رأيٌ صائبٌ ويشاور العقلاء ، ونصف رجل : من له رأي صائب لكن لا يشاور ، أو يشاور ولكن لا رأي له ، ولا شيء : من لا رأي له ولا يشاور » .

---

(١) يشير إلى الآية ١٥٩ من سورة آل عمران (وشاورهم في الأمر) .

(٢) قارن (أدب الدنيا والدين للماوردي) ص٢٧٢ ـ ٢٧٨ حيث أورد آثاراً مشابهة تنسب إلى النبي وانه كان يستشير أصحابه في كل شيء ، بالإضافة إلى ما قاله الصحابة والحكماء في المشورة وشروطها ، أما استشارته عليه الصلاة والسلام لهم في حوائج البيت فلم أجدها

(٣) نسب الماوردي في « أدب الدنيا والدين » ص٢٧٥ هذا القول إلى النبي ﷺ ، وذكره الميداني في مجمع الأمثال ٢/٢٨٩ دون نسبة .

(٤) نسب الأبشيهي في « المستطرف » ١/٧٣ هذا القول إلى الحسن ، ويعني الحسن البصري ، مع اختلاف في اللفظ .

وقال جعفر الصادق[1] لسفيان الثوري[2] :

« شاوِرْ في أمرك الذين يَخْشَون الله تعالى »[3] .

فطلبُ العلم من أعلى الأمور وأصعبها ، فكانت المشاورة فيه أهم وأوجب ـ .

قال الحكيم[4] رحمة الله عليه :

إذا ذهبتَ إلى بخارى فلا تَعْجَلْ في الاختلاف إلى الأئمة وامكثْ شهرين حتى تتأمل وتختار أستاذاً ، فإنك إن ذهبتَ إلى عالِمٍ وبدأت بالسَّبْقِ[5] عنده فربما لا يُعْجِبُكَ درسُه[6] فتترُكَهُ فتذهَبَ إلى آخر ، فلا يُبارَكَ لك في التعلم .

فتأمل في شهرين في اختيار الأستاذ ، وشاور حتى لا تحتاج إلى تركهِ والاعراضِ عنه فتثبتَ عنده حتى يكون تعلُّمُك مباركاً وتنتفعَ بعلمك كثيراً .

ـ واعلم أن الصبرَ والثباتَ أصلٌ كبير في جميع الأمور ولكنه

(١) من أجلاء التابعين ، له منزلة رفيعة في العلم ، أخذ عنه جماعة ، ولد وتوفي بالمدينة ٧٦٥/١٤٨ .

(٢) سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى ، أمير المؤمنين في الحديث ، ولد ونشأ في الكوفة ، توفي عام ٧٧٨/١٦١ .

(٣) في هامش المخطوط الثاني : (انما يخشى الله من عباده العلماء) سورة فاطر ، الآية ٢٨ .

(٤) في الهامش : رجوع إلى الحكاية التي حكاها أبو حنيفة رحمه الله عن حكيم سمرقند .

(٥) السّبْق : الاختلاف إلى الأئمة ، والتردد إلى مجالسهم لأخذ العلم عنهم .

(٦) في الأصل المخطوط : دريسته ، والتصحيح من النسخة الثانية والمطبوعة .

عزيز ، كما قيل :

لكلٍّ إلى شأو العلا حركاتُ ولكن عزيزٌ في الرجال ثبات

قيل : ما الشجاعة؟

[قيل] : الشجاعةُ صَبْرُ ساعة .

- فينبغي أن يثبتَ ويصبرَ على أستاذ وعلى كتابٍ حتى لا يتركه أبترَ ، وعلى فنٍّ حتى لا يشتغل بفن آخر قبل أن يتقنَ الأول[1] ، وعلى بلدٍ حتى لا ينتقل إلى بلد آخر من غير ضرورة[2] ، فإن ذلك كله يفرّق الأمور ويُشغِل القلب ويضيّع الأوقات ويؤذي المعلِّم .

وينبغي أن يصبر عما تريده نفسه وهواه .

قال الشاعر :

إن الهوى لهو الهوانُ بعينـه وصريعُ كل هوًى صريع هَوَانٍ

ويصبر على المحن والبليات .

قيل : « خزائن المنن ، على قناطير المحن » .

ولقد أُنْشِدْتُ ، وقيل إنه لعليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه شعراً[3] :

---

(١) ولا يخفى أنه يقصد بكلمة « الفن » : العلم .

(٢) يشير إلى أن الرحلة في طلب العلم كانت شعار العلماء وأنه لا بد منها لكل متعلم وراوية ، ويؤكد عليه هنا أن لا يترك بلداً إلى بلد آخر إلا بعد أن يستكمل ما في البلد الأول من رواية وعلم .

(٣) وقد وجدت هذا الشعر منسوباً إلى الإمام الشافعي مع اختلاف في اللفظ ، انظر ديوانه ص١٦٣ .

ألا لن تنـال العـلم إلا بستـة | سأنبئـك عن مجموعهـا ببيـان
ذكاءٌ وحرصٌ واصطبارٌ وبُلْغةٌ[1] | وإرشادُ أستـاذ وطولُ زمـان

وأما اختيار الشريك، فينبغي أنْ يختار المُجدَّ والوَرِعَ وصاحبَ الطبـع المستقـيم المتفهم، ويفرَّ من الكسلان والمُعَطّـلِ والمكثـارِ[2] والمفسدِ والفتّان.

قال الشاعر:[3]

عن المرء لا تسل وأبصر قرينه | فإن القرين بالمقارن يقتدي[4]
فإن كان ذا شر فجانبه سُرْعةً | وإن كان ذا خير فقارنه تهتدي

وأنشدت شعراً آخر:

لا تصحب الكسلانَ في حالاته | كم صـالـحٍ بفَسَادِ آخرَ يَفْسُدُ
عدوى البليدِ إلى الجليد سريعةٌ | كالجمر يوضَعُ في الرماد فيخمدُ

قال النبي ﷺ:

«كُلُّ مولودٍ يولـد عـلى فطرةِ الإسلام، إلا أن أبواه يهوّدانـه وينصّرانه ويمجسانه» الحديث[5].

---

(١) البلغة: ما يتبلّغ به من العيش القليل.
(٢) المكثار: كثير الكلام وغالباً ما يكون بلا معنى.
(٣) قاله عدي بن زيد العبادي، أنظر أدب الدنيا والدين ١٦٧، جمهرة أشعار العرب ١٧٩ ولفظه
(عن المرء لا تسأل وسل عن قرينـه | فكـل قرين بـالمقـارن يقتدي).
(٤) في هذا المعنى روى ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (اختبروا الناس بإخوانهم فإن الرجل يخادن من يعجبه نحوه). والنحو: الطريقة.
(٥) رواه البخاري، ومسلم والإمام أحمد، ولفظ البخاري: «ما من مولود إلا يولد على =

ويقال في الحكمة بالفارسية:

باربد بدتر بود ازماربد بحق ذات باك الله الصمد
بـاربـد ازدترا سوى حجـيم بـار نيكوگـير نـابي نعـيم[1]

وقيل:

إن كنت تبغي العلم وأهله أو شاهـداً يخـبر عن غـائـب
فـاعتـبر الأرض بـأسمائهـا واعتبر الصاحبَ بالصاحب[2]

= الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجّسانه، كما تُنتجُ البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء، ثم يقول، فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم» تفسير سورة الروم.

(١) ومعنى هذين البيتين كما أخبرني الأخ الدكتور عبد الله الخالدي:
الثمرة السيئـة هي من الحبـة السيئـة قسما بـذات الله الطـاهر الصمـد
العمـل السيء يسوقـك نحو الجحـيم والذكرى الحسنة تأخذك إلى النعيم

(٢) البيت الأخير مقتبس من حديث ضعيف السند، رواه ابن عدي في الكامل عن ابن مسعود، والبيهقي في شعب الإيمان، انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير ٥٥٢/١، ولفظه (اعتبروا...)، والمعنى الذي أراده: إذا وجدتم اسم بقعة من البقاع مكروهة فاستدلوا على أن تلك الأرض مكروهة، وكذلك الصاحب لا يكون إلا مع من يشابهه.
ولا يخفى أن هذا من التطير المنهي عنه شرعاً.

فصــل
في تعظيم العـلم وأهـله

إعلم أن طالب العلم لا ينالُ العلم ولا ينتفعُ به إلا بتعظيم العلمِ وأهلهِ، وتعظيم الأستاذ وتوقيره.

قيل:

ما وصل من وصل إلا بالحرمة، وما سقط من سقط إلا بترك الحُرمة[١].

وقيل: الحرمةُ خيرٌ من الطاعة، ألا ترى أن الإنسان لا يكفر بالمعصية، وإنما يكفر باستخفافها[٢] وبترك الحرمة.

ومن تعظيم العلم تعظيمُ الأستاذ، قال عليٌّ رضي الله عنه:

«أنا عبدُ من علّمني حرفاً واحداً، إن شاءَ باع، وإن شاء استرق»[٣].

---

(١) الحرمة: المهابة والتعظيم.

(٢) كانت هذه الكلمة في المخطوط قبل كلمة: بالمعصية، ثم استدركها الناسخ، ولعلها محرفة عن كلمة: باستحلالها، وهو ألصق بالمعنى، وقد قال العلماء: إن استحلال المعصية كفر. وليست في المخطوط الثاني.

(٣) روى الطبراني حديثاً بهذا المعنى (من علم عبداً آية من كتاب الله فهو له عبد) =

وقد أُنشدتُ في ذلك:

رأيت أحقَّ الحقِّ حقَّ المعلّم ... وأوجبَه حفظاً على كل مُسلم
لقد حَقَّ أن يُهدى إليه كرامةً ... لتعليم حرف واحد ألف درهم

فإنَّ من علمك حرفاً واحداً مما تحتاج إليه في الدين فهو أبوك في الدين.

وكان أستاذنا الشيخ الإمام سديد الدين الشيرازي[١] يقول: قال مشايخنا: من أراد أن يكون ابنُهُ عالماً ينبغي أنْ يراعي الغرباء من الفقهاء، ويكرمَهم ويطعمَهم ويعطيَهُمْ شيئاً، وإن لم يكن ابنه عالماً يكون حفيده عالماً.

ومن توقير المعلم أن لا يمشي أمامه، ولا يجلسَ مكانه، ولا يبتدىء بالكلام عنده إلا بإذنه، ولا يُكثر الكلامَ عنده، ولا يسأل شيئاً عند ملالته[٢] ويُراعي الوقت، ولا يدق الباب بل يصبر حتى يخرج الأستاذ.

فالحاصل: أنه يطلب رضاه، ويجتنب سُخْطَه، ويمتثل أمره في

= وعلق شيخ الإسلام ابن تيمية عليه بأنه موضوع، ذكره الشوكاني في «الفوائد المجموعة» رقم ٨٧٩.

(١) في الأصل المخطوط: سيد الشيرازي والتصحيح من فصل قادم من الكتاب حيث تكرر اسمه ومن الشرح، ولم أعثر له على ترجمة.

(٢) الملالة: الضجر والسأم، ويراعي الوقت: أي لا يفعل شيئاً إلا في الوقت المناسب له.

غير معصية لله تعالى ، فإنه لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق[1] ، كما قالَ النبي ﷺ « إن شرَّ الناسِ من يُذهب دينَه لدنيا غيره بمعصية الخالق »[2] .

- ومن توقيره : توقيرُ أولادِه ومن يتعلق به .

وكان أستاذُنا شيخُ الإسلام برهانُ الدين صاحبُ « الهداية » رحمة الله عليه يحكي : أن واحداً من أكابر أئمة بخارى كان يجلس مجلسَ الدرس ، وكان يقومُ في خلال الدرس أحياناً فسألوا عنه؟ فقال : إن ابن أستاذي يلعب مع الصبيان في السكة ، ويجيء أحياناً إلى باب المسجد ، فإذا رأيتُه أقومُ له تعظيماً لأستاذي[3] .

والقاضي الإمام فخر الدين الأرسابندي[4] كانَ رئيسَ الأئمة في مرو[5] وكان السلطانُ يحترمه غاية الاحترام وكان يقول : إنما وُجدت

---

(١) المعنى مأخوذ من حديث رواه الإمام أحمد ٦٦/٥ (لا طاعة لمخلوق في معصية الله) .

(٢) في هذا المعنى روى ابن ماجه عن أبي أمامة ان رسول الله ﷺ قال : « من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة عبد أذهب آخرته بدنيا غيره » قال في « الزوائد » : هذا إسناد حسن ، حديث رقم ٣٩٦٦ .

(٣) ان صح هذا فهو من الغلو الذي ليس له وجه شرعي بل فيه مخالفات تربوية لا تخفى!!

(٤) الإمام محمد بن الحسين ، أبو جعفر ، كان فقيهاً فاضلاً مناظراً له تآليف ، وقد تولى القضاء في مرو ، توفي عام ١١١٧/٥١١ (الجواهر ٥٢/٢ ، الفوائد ١٩٤) ونسبته إلى ارسابند ، قال ياقوت : « قرية بينها وبين مرو فرسخان خرج منها طائفة من العلماء » (المعجم ١٩١/١) .

(٥) مرو : قال عنها ياقوت : أشهر مدن خراسان .(المعجم ٣٣/٨) .

بهذا المنصب بخدمة الأستاذ فإني كنتُ أخدُمُ الأستاذَ القاضي الإمامَ أبا زيد الدبوسي[١] وكنت أخدُمه وأطبخ طعامه [ثلاثين سنة] ولا آكل منه شيئاً.

وكان الشيخُ الإمام الأجل شمس الأئمة الحلواني[٢] رحمة الله عليه قد خرجَ من بخارى وسكنَ في بعضِ القرى أياماً لحادثةٍ وقعت له وقد زارَهُ تلاميذُهُ غيرَ الشيخ الإمام شمس الأئمة القاضي بكر بن محمد الزرنجري[٣] رحمه الله تعالى، فقال له حين لقيه: لماذا لم تزرني؟ قال: كنتُ مشغولاً بخدمةِ الوالدة. قال: تُرزقُ العمرَ، لا تُرزقُ رونقَ الدرس، وكان كذلك، فإنه كان يسكُنُ في أكثرِ أوقاتِهِ في القرى ولم ينتظمْ له الدرس[٤]. فمن تأذّى منه أستاذُه يُحْرَمْ بركةَ العلمِ ولا ينتفعُ بالعلم إلا قليلاً.

---

(١) في الأصل: أبا يزيد، هو عبيد الله بن عمر الدبوسي من كبار الفقهاء الأحناف، قال القرشي: هو أول من وضع علم الخلاف وأبرزه للوجود، له كتاب «تقويم الأدلة» توفي في بخارى ٤٣٢/١٠٤١، ودبوسي نسبة إلى بلدة دبوسة بين بخارى وسمرقند (الجواهر ٣٣٩١/١، التاج ٦٤).

(٢) عبدالعزيز بن أحمد، إمام الأحناف في وقته وكان مجتهداً في المذهب، له تصانيف عديدة منها «المبسوط» في الفقه. درس عليه جمع من كبار العلماء، توفي في بخارى ٤٤٨ أو ٤٤٩/١٠٥٦ أو ١٠٥٧. (الجواهر ٣١٨/١).

(٣) في المخطوطين والمطبوع: أبو بكر، هو من كبار الفقهاء الأحناف، يتصل نسبه بالصحابي جابر بن عبد الله رضي الله عنه، تفقه على الإمام الحلواني، قال القرشي: هو آخر من روى عنه، كان يضرب به المثل في الحفظ، مرجعاً في الرواية، وسمي بأبي حنيفة الأصغر، توفي في عام ٥١٢/١١١٨. (الجواهر ١٧٢/١).

(٤) لا نظن أن هذا الأمر صحيح فقد قال القرشي في الجواهر المضيئة عن الزرنجري =

[إن المعلمَ والطبيبَ كلاهما لا ينصحان إذا هُما لم يُكْرما]
[فاصبرِ لدائِكَ إن جفوتَ طبيبَهُ واقنعْ بجهلِكَ إنْ جفوتَ مُعلِّما(١)]

وحُكي أنَّ الخليفةَ هارونَ الرشيد بعثَ ابنَهُ إلى الأصمعي(٢) ليُعلمَهُ العلمَ والأدبَ فرآه يوماً يتوضأُ ويغسلُ رجلَهُ، وابنُ الخليفة يصبُّ الماءَ على رجلِهِ، فعاتبَ الأصمعيَّ [في ذلك] بقوله: إنما بعثتُهُ إليكَ لتعلِّمَهُ وتؤدِّبَهُ فلماذا لم تأمُرْهُ بأن يَصُبَّ الماءَ بإحدى يديه، ويغسلَ بالأخرى رجلَك؟.

ومن تعظيمِ العلمِ: تعظيمُ الكتاب، فينبغي لطالب العلم أن لا يأخذَ الكتابَ إلا بطهارة.

وحُكي عن الشيخِ شمسِ الأئمة الحلواني رحمه الله تعالى أنه قال: إنما نلتُ هذا العلمَ بالتعظيم، فإني ما أخذتُ الكاغد(٣) إلا بطهارة.

= (١٧٢/١): كان الفقهاء إذا وقع لهم إشكال يرجعون إليه... وكانت عنده كتب عالية ما وصلت إلينا إلا من روايته... ونقل عن السمعاني: روي لي عنه جماعة كثيرة بخراسان وما وراء النهر.

وهذا يدل على أنه كان مرجعاً في العلم، وأن درسه قد انتظم، وكان مقصد طلاب العلم، فانتفع هو ونفع غيره.

(١) في المطبوعة، وللبيتين المذكورين مطلع وهو قول الشاعر:
أكرم طبيبك إن أردت دواءه وكذا المعلم إن أردت تعلما

(٢) الأصمعي: عبد الملك بن قريب، أحد أئمة العلم باللغة والشعر والرواية، كان الرشيد يسميه: شيطان الشعر، توفي عام ٢١٦ هـ/٨٣١م.

(٣) الكاغد: هو ورق الكتابة، ويقول فيليب حتى في تاريخ العرب (٥٠٣/٢): «لعل =

والشيــخُ الإمــامُ شمسُ الأئمة السرخسي[١] كـان مبطونـاً[٢] في ليلة، وكان يكرر[٣]، وتَوَضَّأَ في تلكَ الليلةِ سبعَ عَشْرَةَ مرة لأنّهُ كانَ لا يُكَرِّرُ إلا بالطهارة، وهذا لأن العلمَ نورٌ والوضوءُ نورٌ فيزدادُ نورُ العلم به.

ومن التعظيمِ الواجبِ للعالم أن لا يَمُدَّ الرِّجْلَ إلى الكتابِ ويَضَعَ كتابَ التفسير فوق سائر الكتب [تعظيماً] ولا يَضَعَ شيئاً آخر على الكتاب.

وكان أستاذُنا الشيخُ الإمام برهان الدين رحمه الله تعالى يحكي عن شيخٍ من المشايخ: أنَّ فقيهاً كانَ وَضَعَ المِحْبَرَةَ على الكتاب، فقال له [بالفارسية]: بَرْنَيا بي[٤].

= هذا الاسم - كاغد - لفظ صيني الأصل جاء عن طريق الفارسية» وذلك لأن أول من أدخل صناعة الورق هم الأسرى الصينيون.

أما التشدد في أمر الطهارة التي يشترطها المؤلف فهو من الغلو والتنطع.

(١) هو الإمام محمد بن أحمد السرخسي، كان علامة حجة، متكلماً، فقيهاً، أصولياً، مناظراً، وهو كثير التآليف، توفي عام ٤٨٣/١٠٩٠، نسبته إلى سرخس بلدة من نواحي خراسان، كبيرة واسعة خرج منها جماعة من العلماء (المعجم ٥/٦٥).

ويقال بأنه أملى كتابه «المبسوط» في الفقه (٩ مجلدات أو أكثر) وهو في سجن أحد الظلمة الذين كانوا يستحلون الاعتداء على العلماء.

(٢) أي يشتكى من بطنه بسبب الإسهال.

(٣) يكرر: يذاكر العلم بالإعادة والمراجعة.

(٤) أي: لا يكون منك، ويعني بذلك أن الإساءة إلى الكتاب تجعله عديم الانتفاع من علمه، وهذا أيضاً من التشدد والغلو، لأن الانتفاع بالعلم أو عدمه له أسبابه.

وكان أستاذُنا القاضي الإمامُ الأجلُّ فخر الدين المعروفُ بقاضي خان[1] رحمه الله تعالى يقول: إنْ لم يُرِدْ بذلك الاستخفافَ فلا بأسَ بذلك والأولى أنْ يَحْتَرِزْ عنه.

ومن التعظيم: أن يُجوِّدَ كتابةَ الكتاب ولا يُقَرمِطَ[2] ويتركَ الحاشيةَ إلا عندَ الضرورة.

ورأى أبو حنيفة رحمه اللهُ تعالى كاتباً يُقَرْمِطُ في الكتابة فقال: «لا تُقَرْمِطْ خَطَّكَ، إن عِشْتَ تَنْدَم وإن مِتَّ تُشْتَمْ» يعني إذا شِخْتَ وضَعُفَ نورُ بَصَرِك نَدِمْتَ على ذلك[3].

وحُكي عن الشيخ الإمام مجد الدين الصرخكي[4]، حكيَ أنه

---

(١) هو الحسن بن منصور الأوزجندي الفرغاني الفقيه، له مؤلفات عدة في الفقه، وكان مجتهداً في المسائل توفي ٥٩٢/١١٩٥.

(٢) يقرمط: يدقق الكتابة ويصغرها.

(٣) يقصد بهذا أن الطالب عندما يكون صغير السن يقرمط خطه فلا يعطي كل حرف حقه، وينتخب من الكتب المقطعات ولا يقابل ما نسخ.

وعندما يكبر ويحتاج إلى ما كتب فتصعب عليه معرفة الكلمات الناقصة، وقد يجد أن ما اختاره كان دون مستوى الانتخاب المطلوب، ويجد أن ترك المقابلة على الأصول أوقعه في أغلاط يتعذر عليه استدراكها لبعد الكتب التي نقل عنها... إلخ فيندم لذلك. وكذلك بعد موته يتعب من بعده.

(٤) في الأصل المخطوط: السرخسي، وفي المطبوع: السرجكي، وفي المخطوط الثاني: الصرحكي، وقد نسب صاحب الجواهر المضيئة هذا القول إلى الصرخكي (٣٢٤/٢) ولكن مع اختلاف في اللفظ: ما فرطنا ندمنا وما انتخبنا ندمنا وما لم نقابل ندمنا.

قال: ما قَرْمَطْنا نَدِمْنا، وما انتَخَبْنَا ندمنا، وما لم نُقابل ندمنا »[1].

وينبغي أن يكون تقطيعُ الكتابِ مُرَبّعاً، فإنه تقطيعُ أبي حنيفةَ رحمه الله تعالى، وهو أيسرُ على الرفعِ والوضعِ والمطالعة[2].

وينبغي أن لا يكونَ في الكتابِ شيءٌ من الحمرة، فإنه من صنيع الفلاسفةِ لا صنيع السلف، ومن مشايخنا كرهوا استعمال المركّب[3] الأحمر.

ومن تعظيم العلم: تعظيمُ الشركاء [في طلب العلم والدرس] ومن يتعلم منه. والتملقُ مذمومٌ إلا في طلب العلم[4].

فإنه ينبغي أن يتملقَ لأستاذِهِ وشركائِهِ ليستفيدَ منهم[5].
وينبغي لطالب العلم أن يستمعَ العلم والحكمةَ بالتعظيمِ والحُرمةِ، وان سَمِعَ مسئلةً واحدة أو حكمةً واحدة ألف مرة.

---

(١) في المطبوع: إلا ندمنا.
(٢) ولماذا ينبغي ذلك، اللهم سوى التقليد الأعمى للأئمة.
(٣) المركّب: الحبر، ولا ندري لماذا قال أنهم كرهوا استعماله، مع أنه لا يخلو كتاب قديم من الكتابة بالأحمر. وفي المخطوط الثاني: المركب الحمرة؟
(٤) التملق هو التودد والتلطف بتكلف واصطناع، وقد ورد في المعنى المذكور حديث رواه ابن عدي عن معاذ مرفوعاً « ليس من أخلاق المؤمن الملق إلا في طلب العلم » أورده الشوكاني وقال: في اسناده كذاب. (الفوائد رقم ٨٥٦).
(٥) قارن « أدب الدنيا والدين » للماوردي ص٢٥١ حيث يقول (.. لأن التملق للعالم يظهر مكنون علمه) وروى عن ابن عباس (ذللت طالباً فعززت مطلوباً).

قيل: من لم يكن تعظيمُهُ بعد ألفِ مرةٍ كتعظيمه في أول مرة فليسَ بأهلٍ للعلم.

وينبغي[1] لطالب العلم أن لا يختارَ نوعَ العلمِ بنفسه، بل يفوّضُ أمرَهُ إلى الأستاذ، فإن الأستاذ قد حَصَلَ له التجاربُ في ذلك، فكانَ أعرَفَ بما ينبغي لكلِ أحدٍ وما يليقُ بطبيعته.

وكان الشيخُ الإمامُ الأجلّ الأستاذُ برهان الحق والدين رحمه الله تعالى يقول:

كانَ طلبةُ العلمِ في الزمانِ الأول يفوضونَ أمرَهُمْ في التعلم إلى أستاذِهم، وكانوا يصلون إلى مقصودِهم ومُرادِهم، والآن يختارون بأنفسِهم، فلا يَحْصُلُ مقصودُهم من العلم والفقه.

وكان يُحكى أن محمد بن إسماعيل البخاري[2] رحمه الله تعالى كان بدأ بكتابة الصلاةِ على محمد بن الحسن رحمه الله، فقال له محمد بن

---

(١) ونجد أن المؤلف أكثر من استعمال كلمة «ينبغي»، أما معناها اللغوي فقال عنه الفيروز آبادي (القاموس ٣٠٤/٤): انبغي الشيء: تيسّر وتسهّل. ومن هنا نلاحظ أن المؤلف عنى بها الوجوب، أي أنه قد تجاوز في استعمالها معناها اللغوي أو حملها ما لا تحتمل، وأنظر شروح كتب التفسير للاستعمال القرآني لكلمة «ينبغي» التي لا تخرج عن معنى: يصلح أو يسهل وذلك في سورة مريم آية ٩٢، الفرقان ١٨، الشعراء ٢١١، يس ٤٠ و٦٩، ص٣٥.

(٢) البخاري: حبر الأمة وحافظ حديث رسول الله، صاحب الجامع الصحيح، الفقيه المجتهد، ولد في بخارى ونشأ يتيماً، قام برحلة طويلة عام ٢١٠ في طلب الحديث وسمع ألف شيخ، توفي ٨٧٠/٢٥٦.

الحسن: إذهب وتعلم علمَ الحديث، لما رأى أن ذلك العلم أليق بطبعه، فَطَلَبَ علم الحديث فصار فيه مُقدَّماً على جميع أئمة الحديث[1].

- وينبغي لطالبِ العلم أن لا يجلسَ قريباً من الأستاذ عند السبق بغير ضرورة، بل ينبغي أن يكون بينه وبين الأستاذ قدرَ القوس فإنه أقربُ إلى التعظيم.

- وينبغي لطالب العلم أن يحترز عن الأخلاق الذميمة، فإنها كلابٌ معنوية، وقد قال رسول الله ﷺ:

لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب أو صورة »[2].

وإنما يتعلم الإنسانُ بواسطة ملك.

والأخلاق الذميمة تُعرف في « كتاب الأخلاق » وكتابُنا هذا لا يحقلُ بيانَها.

[وليحترز] خصوصاً عن التكبر ومع التكبر لا يحصل العلم.

قيل:

العلم حرب [للفتى] المتعالي | كالسيل حرب للمكان العالي[3]

---

(١) لا يعقل وقوع هذه الحادثة، فإن ابن الحسن توفي عام ١٨٩ والبخاري ولد عام ١٩٤، ودخل بغداد بعد عام ٢١٠ هـ أي بعد أكثر من احدى وعشرين سنة من وفاة ابن الحسن.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) العجز من بيت لأبي تمام وصدره: (الديوان جـ ١/٧٧)

لا تنكري عطل الكريم من الغنى | فالسيل حرب للمكان العالي

فصــل
في الجـدّ والمواظبة والهـمّة

ثم لا بـد من الجِدِّ والمواظبـة والملازمـة لطـالـب العـلم، وإليـه الإشارة في القرآن بقوله تعالى: ﴿يا يحيى خُذ الكتابَ بقوة﴾[1] وقوله تعالى: ﴿والذينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنهدِيَنّهم سُبُلَنا﴾[2].

قيل:

بجِـدٍّ لا بجِـدٍّ كـل مُجـد   فهـل جَـدٌّ بـلا جِـدّ بمجـدي
فكم من عبدٍ يقومُ مقامَ حر   وكم حر يقومُ مقـامَ عبـد[3]

وقيـل: من طلـب شيئـاً وجَـدَّ وجـد، ومن قرع البـاب ولـجّ ولج[4].

وقيل: بقدر ما تتعنّى تنال ما تتمنّى.

وقيـل: يحتـاج في التعـلم والتفقـه إلى جـد ثـلاثـة: المتعـلم،

---

(١) سورة مريم، الآية ١٢.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٦٩ وترتيب الآيتين في النسخ المطبوعة معكوس.

(٣) ورد هذان البيتان في النسخ المطبوعة في آخر الفصل السابق.

(٤) لجّ: ألح وشدد. ولج: دخل.

والأستاذ، والأب، إن كان في الأحياء[1].

أنشدني الشيخ الإمام الأجل الأستاذ سديد الدين الشيرازي للشافعي رحمهما الله:

الجِدُّ يُدني كلَّ أمرٍ شاسع ... والجِدُّ يفتَحُ كلَّ باب مُغْلَقِ
وأَحقُّ خلق الله تعالى بالهم امروٌ ... ذو هِمّةٍ يُبلى بعيشٍ ضيّقِ
ومن الدليل على القضاء وحكمِه ... بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق[2]
لكن من رُزِقَا الحِجَا حُرِمَ الغنى ... ضدّان يفترقان أيَّ تفرقِ[3]

وأُنشِدْتُ لغيره:

تمنّيتَ أن تمسي فقيهاً مناظراً ... بغير عَنَاءٍ والجنونُ فنونُ
وليسَ اكتسابُ المالِ دونَ مشقةٍ ... تحمَّلُها فالعِلْمُ كيفَ يكونُ؟[4]

قال أبو الطيب المتنبي[5]:

ولم أر في عيوب الناس عيباً ... كنقصِ القادرين على التمامِ

ولا بد لطالب العلم من سهر الليالي كما قال الشاعر:

بقدرِ الكدِّ تُكتسبُ المعالي ... ومنْ طَلَبَ العُلى سَهِرَ الليالي

---

(١) حصر الموضوع بالأب للانفاق على المتعلم فيه تقييد، وكان من الأجدر لو أنه قال: ولي الأمر، الذي يكون أبو المتعلم أو أمه أو عمه وغيره ممن يتولى الانفاق عليه.

(٢) أي أن ضيق عيش ذي العقل هو ابتلاء واختبار من الله تعالى، الذي شاءت إرادته وحكمته هذا الأمر.

(٣) قارن بديوان الشافعي ص١٣٢ - ١٣٣.

(٤) في الهامش: أي كيف يحصّل العلم بلا اكتساب مع كونه أعلى الأمور وأشرفها.

(٥) في قصيدة قالها خلال مرض ألمّ به في مصر، أنظر الديوان ص٤٨٢ - ٤٨٥.

تروم العِزَّ ثم تنامُ ليلاً … يُغوصُ في البحر من طَلَبَ اللآلي
عُلُوُّ الكعب بالهمم العوالي … وعن المرءِ في سَهَرِ الليالي
تركتُ النومَ ربي في الليالي … لأجلِ رضاكَ يا مولى الموالي
ومن رام العلى من غير كد … أضاع العمر في طلب المحال
فوفِّقْني إلى تحصيلِ علمٍ … وبلّغْني إلى أَقْصَى المعالي

قيل: اتخذ الليلَ جملاً تدرك به أملا[1].

قال المصنف[2] وقد اتفق لي نظم في هذا المعنى شعرٌ:

من شاء أن يحتوي آمالَه جُمَلا … فليتخذْ ليلَه في دَرْكِها جَمَلا
إقلل طعامَك كي تحظى به سهراً[3] … إن شئت يا صاحبي أن تبلغ الكملا

وقيل: من أسهرَ نفسَه بالليل، فقد فَرَّحَ قلبَه بالنهار.

- ولا بد لطالب العلم من المواظبة على الدرسِ والتكرار في أول الليل وآخره، فإن ما بين العشائين، ووقت السحر، وقت مبارك.

قيل في هذا المعنى[4]:

يا طالبَ العلم باشِرِ الوَرَعا … وجانب النومَ واترك الشبَعا
وداوم على الدرسِ لا تفارِقْهُ … فإن العلمَ بالدرس قامَ وارتفعا

---

(١) اتخذ الليل جملاً، قال عنه الميداني: يُضرب لمن يعمل العمل بالليل من قراءة أو صلاة أو غيرهما مما يركب فيه الليل (مجمع الأمثال ١/١٣٥).
(٢) يريد نفسه.
(٣) في المطبوع: ثمراً.
(٤) يروي ابن عبد البر هذا الشعر وينسبه إلى عبد الله بن المبارك (جامع بيان العلم ١/١٩٢).

فيغتنم أيام الحداثة وعنفوان[1] الشباب، كما قيل:

بقدر الكد تُعطى ما تَرُومُ ... فمن رَامَ المُنى ليلاً يَقُومُ
وأيامَ الحداثة فاغْتَنِمْها ... أَلاَ إنَّ الحداثَةَ لا تدُومُ

ولا يُجْهِدْ نفسَه جَهْداً يُضْعِفُ النفس حتى ينقطعَ عن العمل، بل يستعملُ الرفق في ذلك، والرفقُ أصلٌ عظيم في جميع الأشياء.

قال رسول الله ﷺ:

«ألا إنَّ هذا الدينَ متينٌ فأوغِل فيه برفق، ولا تُبَغِّض نفسِك في عبادةِ الله تعالى فإن المُنْبَتَّ لا أرضاً قَطَعَ ولا ظَهْراً أبْقى»[2].

وقال عليه السلام:

«نفسُكَ مَطِيَّتُكَ فارفُق بها»[3].

فلا بدَّ لطالبِ العلم من الهِّمةِ العالية في العمل، فإن المرءَ يطيرُ بهمتِهِ كالطير يطيرُ بجناحيه.

---

(١) في الأصل الأول: عنوان.

(٢) القسم الأول من الحديث بلفظ (فاوغلوا) رواه الامام أحمد عن أنس رضى الله عنه، ٣/١٩٩، حديث صحيح. أما الحديث بكامله فسنده ضعيف، رواه البزار في مسنده ورواه البيهقي في السنن من طرق وفيه اضطراب، وروي موصولاً ومرسلاً ومرفوعاً وموقوفاً، ورجح البخارى في التاريخ إرساله، أنظر تفصيل ذلك في الفيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ٢/٥٤٤، والمنبت: هو المنقطع في السفر الذي عطلت راحلته ولم يصل إلى هدفه، وفي الحديث نهي عن التكلف في العبادة.

(٣) لم أجد هذا الحديث بلفظه.

وقال أبو الطيب رحمه الله[1] :

على قَدْرِ أهلِ العَزْم تأتي العزائم وتأتي على قدرِ الكرام المكارمُ
وتعظمُ في عين الصغير صغارُها وتصغُرُ في عين العظيمِ العَظائِمُ

والركنُ في تحصيلِ الأشياء الجدُّ والهمة العالية ، فمن كانت هِمّتُهُ حِفظَ جميعِ كتب محمد بن الحسن ، واقترنَ بذلك الجِدُّ والمواظبة ، فالظاهر أنه يحفَظُ أكثرُها أو نصفَها ، فأما إذا كانت له همة عالية ولم يكن له جِدٌّ ، أو كان له جِدٌّ ولم تكن له همةٌ عاليةٌ لا يحصُل له العلم إلا قليلاً .

وذكر الشيخ الإمام الأجل الأستاذ رضيُّ الدين النيسابوري في كتاب « مكارم الأخلاق »[2] : أنَّ ذا القرنين[3] لما أراد أن يسافر ليستوليَ على المشرق والمغرب ، شاوَرَ الحكماء وقال : كيف أسافرُ بهذا القدرِ من الملك ، فإن الدنيا قليلةٌ فانيةٌ ، ومُلْكُ الدنيا أمرٌ حقير ، فليس هذا من عُلُوِّ الهمة .

فقال الحكماء : سافِر ليحصل لَكَ مُلْكُ الدنيا والآخرة .

فقال : هذا أحسن .

---

(١) مطلع قصيدة يمدح بها سيف الدولة الحمداني عام ٣٤٣/٩٥٤ أنظر ديوانه ص٣٨٥ .

(٢) ذكره حاجي خليفة في « كشف الظنون » ص١٨١١ والنيسابوري هو صاحب الطريقة الرضوية في علم الخلاف (الجواهر ٢/٣٧٠ ـ الفوائد ٧٣) .

(٣) المقصود من ذكر في القرآن الكريم في سورة الكهف ، الآية ٨٣ ومن يظن أنه الاسكندر المقدوني فهو واهم .

وقال رسول الله ﷺ :

« إن اللهَ يحبُّ معاليَ الأمورِ ويكرهُ سَفْسَافها »[١].

وقيل :

فلا تعجلْ بأمرِكَ واستَدِمْهُ   فما صَلّى عصاك كمستديم[٢]

قيل :

قال أبو حنيفة رحمه الله لأبي يوسف : كنتَ بليداً أخرجَتْك المواظبة ، وإياك والكسل فإنه شؤم وآفة عظيمة .

قال الشيخ الإمام أبو نصر الصفار الأنصاري[٣] :

يانفس يانفسِ لا تُرْخي عن العمل   في البِرِّ والعدلِ والإحسانِ في مَهَلِ
فَكُلُّ ذي عَمَلٍ في الخير مُغتَبِطٌ   وفي بلاءٍ وشؤمٍ كُلُّ ذي كَسَلِ

قال المصنف : وقد اتفق لي في هذا المعنى شعر :

دعي نفسي التكاسُلَ والتّواني   وإلا فاثبُتي في ذَا[٤] الهوانِ
فلم أرَ للكَسَالى الحظّ [يُعطي]   سوى نَدَمٍ وحرمانِ الأماني

---

(١) أخرجه البيهقي والطبراني ، أنظر تخريج أحاديث إحياء علوم الدين للحافظ العراقي ٢/٣٥٨ و٣/٢٤٤ .

(٢) صلّى عصاه : لينها بالنار ليسهل تقويمها ، والمعنى أن خير وسائل تقويم المعوج وإصلاح الفاسد الاستدامة والاستمرار ، وذكر الميداني هذا البيت باعتبار أن كلمات عجزه ذهبت مثلاً (مجمع الأمثال ٢/٢٨٨) .

(٣) في الاصل : الصفاري ، هو أحمد بن محمد من أهل بخارى ، من علماء القرن الرابع الهجري .

(٤) ذا الهوان : أي هذا الهوان .

وقيل :

كم من حياءٍ وكم عجزٍ وكم ندمٍ ... جمٍّ تولّد للإنسان من كسلِ
[إياكَ عن كسلٍ في البحثِ عن شبهٍ ... فما علمتَ، وما قد شذّ عنك سلِ][1]

وقد قيل :

الكَسَلُ من قلةِ التأمّلِ في مناقبِ العلمِ وفضائله، فينبغي أن يُتْعِبَ نفسه على التحصيل والجد والمواظبة بالتأمل في فضائل العلم، فإن العلم يبقى [ببقاء المعلومات] والمال يفنى، كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :

رضينا قسمةَ الجبار فينا ... لنا علمٌ وللأعداء مالُ
فإن المالَ يفنى عن قريب ... وإن العلمَ يبقى لا يزال[2]

والعلمُ النافع يحصل به حسنُ الذكر ويبقى ذلك بعد وفاتِهِ فإنه حياةٌ أبدية.

وأنشدنا الشيخُ الإمامُ الأجلُّ ظهير الدين مفتي الأئمة الحسن بن علي المعروف بالمرغيناني :[3]

الجاهلون موتى قبلَ موتِهِمُ ... والعالمونَ وإن ماتوا فأحياء

وأنشدني الشيخ الإمامُ الأجلُ برهان الدين رحمه الله :

---

(١) إياك عن كسل : ابتعد عن الكسل، أي لا تكسل عن البحث عما يزيل الشكوك لديك، فما علمته تكتفي به، أما ما صعب عليك فاسأل عنه أهل العلم.

(٢) انظر ديوان علي ص٩٦.

(٣) فقيه حنفي، هو أستاذ صاحب «الهداية».

وفي الجهلِ قبل الموتِ موتٌ لأهله ... فأجسامُهم قبل القبور قبور
وإن امرؤ لم يحي بالعلم ميت ... فليسَ لـه حـين النشور نشور

[وقال غيره] [1]:

أخُو العلمِ حيٌّ خالدٌ بعد موتهِ ... واوصالُه تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو يمشي على الثر ... ى يظهر من الأحياء وهو عديم

وقال آخر:

حياةُ القلب علم فاغتنمه ... وموت القلب جهلٌ فاجتنبه

وأنشدني أستاذنا شيخ الإسلام برهان الدين رحمة الله عليه شعراً:

ذا العلم أعلى رتبةً في المَراتِب ... ومِنْ دُونه عِزُّ العُلَى في المَوَاكِبِ [2]
فذو العلم يبقى عزّه مُتَضاعِفاً ... وذوا الجهل بعد الموتِ في الترائبِ [3]
فهياتُ لا يرجو مَداهُ من ارتقى ... رُقي وليّ الملكَ والي الكتائبِ [4]
سأُمْلي عليكم بعضَ ما فيه فاسمَعُوا ... في حَصرٌ عن ذِكْر كل المَنَاقبِ
هو النور كُلُّ النور يَهْدي عن العَمَى ... وذوا الجهل مَرّ الدهرِ بين الغياهبِ؟ [5]

---

(1) القائل أبو محمد النحوي.

(2) المواكب: الجماعات، والمعنى أن هذا العلم منزلته أعلى المنازل وكل المعالي والرئاسات في الجماعات دونه في الشرف والرفعة.

(3) المعنى: ان صاحب العلم يبقى عزه بعد الموت ويتضاعف أجره، أما الجاهل فإن عزه سيكون تحت التراب.

(4) يعني أن أصحاب السلطة والحكم أصحاب الجيوش لا يبلغون عز العلماء.

(5) مر الدهر: مدى الدهر، الغياهب: جمع غيهب: الظلام الشديد.

هو الذِّروَةُ الشّمّاءُ تحمي من التجا   إليها ويمشي آمناً في النوائِبِ
بـه يَنْتَجي والنـاسُ في غفلاتهم   به يرتَجي والروحُ بين الترائِبِ
بـه يشفَعُ الإنسانُ من رَاحَ عاصيا   إلى دَرَكِ النيران شَرِّ العَواقبِ
فمن رامَهُ رامَ المآرب كُلّها   ومن حازه قدْ حازَ كلَّ المَطَالبِ
هو المَنْصَبُ العالي يا صاحب الحج   إذا نلْتَهُ هَوِّن بفوتِ المَنَاصِبِ[١]
فإن فاتَكَ الدُّنيا وطيبُ نعيمها   [فغمِّضْ][٢] فإنّ العلمَ خَيْرُ المواهب

وقيل في هذا المعنى:

إذا مـا اعتز ذُو عـلمٍ بعـلمٍ   فعـلْمُ الفقـهِ أولى بـاعتزازِ
فـكم طيـب يفوح ولا كمسك   وكم طَيْرٍ يطـيرُ ولا كَبَـازي

وأنشدت أيضاً لبعضهم:

الفِقهُ أنفسُ كلِّ شيءٍ أنتَ ذاخرُهُ   من يَدْرُسِ العلمَ لم تَدْرُسْ مفاخره
فاكسب لنفسك ما أصبحت تَجْهلهُ   فأوَّل العـلمِ إقبـالٌ وآخره

وكفى بلذةِ العلمِ والفقهِ والفهمِ داعياً وباعثاً للعاقل على تحصيلِ العلم.

وقد يتولدُ الكسلُ من كثرةِ البلغَمِ والرُّطوبات، وطريقُ تقليلِهِ، تقليلُ الطعام.

---

(١) الحجى: العقل، هون بفوت المناصب: اعتبر فوات مناصب الدنيا أمراً هيناً.
(٢) في الأصل: فقل، والتصحيح من نسخة أخرى.
(٣) في الاصل المخطوط: فاجتهد، والتصحيح من المطبوع، وللضرورة الشعرية.

قيل: اتفق سبعون طبيباً على أن النسيان من كثرة البلغم، وكثرة البلغم من كثرة شرب الماء، وكثرة شرب الماء من كثرة الأكل، والخبز اليابس يقطعُ البلغمَ، وكذا أكلُ الزبيب على الريق، ولا يكثر منه، حتى لا يحتاج إلى شرب الماء فيزيد البلغم.

والسواك[1] يقللُ البلغم، ويزيدُ الحفظ والفصاحة، فإنه سُنّةٌ سَنِيَّةٌ تزيد في ثواب الصلاة، وقراءة القرآن، وكذا القيء يقلل البلغم والرطوبات، وطريقُ تقليل الأكل التأمل في منافع قلةِ الأكل وهي: الصحة والعفة والإيثار. وقيل فيه شعر:

فعـــارٌ ثم عـــارٌ ثم عـــارٌ   شقاءُ المرء من أجل الطعام.

وعن النبي عليه السلام أنه قال:

« ثـــلاثـــةٌ يُبغضُهُم اللهُ من غـــير جُرم: الأكولُ والبخيـــلُ والمتكبر »[2].

وتأمَّلْ في مضار كثرة الأكل وهي: الأمراض وكلالة الطبع، وقيل: « البِطنة تُذهبُ الفِطنة »[3].

---

(١) قارن الطب النبوي لابن القيم ص ٢٤٨ - ٢٤٩ حيث أورد فوائد السواك - عود الأراك -.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، والأحاديث كثيرة فيما ينفر من هذه الافعال، وقد نسبه الميداني الى لقمان « ثلاثة تبغضهم الناس من غير ذنب اليهم: الشحيح والمتكبر والأكول » (مجمع الامثال ٢/٤٦٠)

(٣) أورده الميداني في مجمع الامثال (١/١٠٦) ولفظه: « البطنة تأفن الفطنة » وهو بنفس المعنى، يقال: أفن الفصيل ما في ضرع أمه: إذا شرب ما فيه، أي أذهب محتواه.

حكي عن جالينوس[1] أنه قال: الرُّمانُ نفع كلُّه، والسمك ضرر كله، وقليل السمك خير من كثير الرمان.

وفيه أيضاً: إتلافُ المال، والأكلُ فوق الشبع ضررٌ محض ويستحق به العقاب ودار الآخرة، والأكولُ بغيضٌ في القلوب.

وطريق تقليل الأكل: أن يأكُلَ الأطعمة الدسمة ويقدمَ في الأكل الألطف والأشهى، ولا يأكلَ مع الجائع إلا إذا كان له غرض صحيح، بإن يتقوى به على الصيام والصلاة والأعمال الشاقة فله ذلك.

---

(١) جالينوس: طبيب وفيلسوف يوناني ولد عام ١٢٩ وتوفي ١٩٩ م.

فصـــل
في بداية السّبق وقدره وترتيبه

كان أستاذنا شيخ الإسلام برهان الدين رحمه الله يوقف بداية السَّبْق على يوم الأربعاء، وكان يروي في ذلك حديثاً ويستدل به ويقول: « قال رسول الله ﷺ: « ما من شيء بدىء يوم الأربعاء إلا وقد تم »[1]، وهكذا كان يفعل أبي »[2].

وكان[3] يروي هذا الحديث[4] عن أستاذه الشيخ الإمام الأجل

(١) قال السخاوي: لم أقف له على أصل، والحق أن الأيام كلها تستوي عند الله، وأن التفاؤل أو التشاؤم ببعض الأيام أو الساعات ليس من الدين في شيء.

(٢) في الاصلين المخطوطين وفي النسخ الأخرى: (وهكذا كان يفعل أبو حنيفة) والتصحيح من الجواهر المضيئة للقرشي (١/٣٨٤) وقد رجحنا هذا القول لأننا لم نطّلع على أن أبا حنيفة كان يفعل هذا الأمر، كما أنه يعقل أن يكون الشيخ برهان الدين قد أخذ تلك العادة عن أبيه، وانظر السخاوي « المقاصد الحسنة » (٩٤٣) حيث روى أن أباه كان يفعل هذا.

(٣) أي الشيخ برهان الدين.

(٤) في هامش المخطوط الأول: قال رسول الله ﷺ: (اشتكت الاربعاء الى ربها فقالت يا رب، انما عبادك يتقلوني. قال الله عز وجل: فبعزتي وجلالي ما من شيء بدىء فيك إلا قد اتمته وما من مريض بعيد فيك إلا وقد شفيته) ولم أجد أيضاً=

قوام الدين أحمد بن عبد الرشيد رحمه الله[1] .

وسمعتُ ممن أثق به ، أن الشيخ يوسف الهمذاني[2] رحمه الله ، كان يوقف كل عمل من الخير على يوم الأربعاء . وهذا لأن يوم الأربعاء يوم خلق فيه النور[3] ، وهو يوم نحس في حق الكفار[4] فيكون مباركاً للمؤمنين .

وأما قدْرُ السَّبْق في الابتداء : كان أبو حنيفة رحمه الله يحكي عن الشيخ القاضي الإمام عمر بن أبي بكر الزرنجري[5] رحمه الله أنه قال : قال مشايخنا رحمهم الله : ينبغي أن يكون قدر السبقِ للمبتدىء قدر ما يمكن ضبطه بالإعادة مرتين بالرفق ويزيد كل يوم

= حديثاً بهذا المعنى وأظنه من الموضوعات ، ثم وجدت ان العسقلاني رواه عن بعض الصالحين وكذلك السخاوي .

(١) إمام وفقيه من أهل بخارى ومن علماء القرن السادس الهجري .

(٢) في الأصلين المخطوطين : أبو يوسف ، هو يوسف بن أيوب الهمذاني ، أبو يعقوب ، زاهد متصوف وعظ ببغداد وسكن بمرو ، له تصانيف في التصوف ، توفي عام ١١٤٠/٥٣٥ ، ونسبته إلى همذان : أكبر مدينة في جبال بلاد فارس ، ينسب إليها كثير من العلماء ، فتحها المغيرة بن شعبة عام ٢٤ هـ (المعجم ٤٧١/٨ - ٤٨١) .

(٣) جزء من حديث رواه مسلم والامام أحمد .

(٤) وردت بهذا المعنى عدة أحاديث موضوعة ، انظر الشوكاني في « الفوائد المجموعة » ٤٣٧ - ٤٣٨ ، وقد وضح اللكنوي في الفوائد البهية (ص ١٤٣) مشكلات هذا الموضوع .

(٥) وهم من المصنف أو خطأ من الناسخ فأبي حنيفة لم يرو عن الزرنجري ،ونظن أن هذه الرواية لعمر بن بكر الزرنجري وهو أمام وفقيه حنفي توفي عام ١١٨٨/٥٨٤ .

كلمة حتى أنه وإن طال وكثر يمكن ضبطه بالإعادة مرتين، ويزيد بالرفق والتدريج، وأما إذا طال السبق في الابتداء واحتاجَ إلى الإعادة عشر مرات فهو في الانتهاء أيضاً يكون كذلك، لأنه يعتادُ ذلك، ولا يتركُ تلك الإعادة إلا بجهد كثير[١]. وقد قيل: السبق حَرْفٌ، والتكرار ألْفٌ[٢].

وينبغي أن يبتدىء بشيء يكون أقرب إلى فهمه، وكان الشيخُ الإمام الأستاذ شرفُ الدين العقيلي[٣] رحمه الله يقول: الصوابُ عندي في هذا ما فعله مشايخنا رحمهم الله، فإنهم كانوا يختارون للمبتدىء صِغَارات المبسوط[٤] لأنه أقربُ إلى الفَهْم والضبط، وأبعدُ من الملالة، وأكثرُ وقوعاً بين الناس.

وينبغي أن يعلقَ السبقَ بعد الضبطِ والإعادةِ كثيراً، فإنه نافعٌ جداً[٥].

ولا يكتب المتعلمُ شيئاً لا يفهمه، فإنه يورثُ كلالةً الطبع ويُذهبُ الفطنة ويُضيّعُ أوقاته.

---

(١) هذا يعني: أن طول الاستماع الى الاستاذ لا ينبغي أن يزيد، شرط أن يعاد الشرح مرتين في الموضوع الواحد، أما إذا زاد عن ذلك في البداية فإنه يعتاد طول الاستماع وتكرار الشرح فيبطؤ فهمه ويتبلد ذهنه.

(٢) أي تعلم قليلا وكرر ما تعلمته كثيراً.

(٣) هو عمر بن محمد، أبو حفص الانصاري، من كبار الفقهاء الاحناف في بخارى له العديد من التصانيف توفي عام ٥٩٦/١٢٠٠.

(٤) أي الكتب الصغيرة التي تتضمن خلاصات الكتب المطولة.

(٥) تعليق السبق: كتابة خلاصة الدرس وهو ما يسمى الآن «بالملخص السبوري».

وينبغي ان يجتهد في الفهم عن الأستاذ بالتأمُّل وبالتفكر وكثرةِ التكرار، فإنه إذا قَلَّ السَّبْقُ وكَثُرَ التكرار والتأمل يُدرك ويَفْهَم.

قيل: حفظ حرفَيْن، خير من سماع وقْرين[1]، وفهم حرفين خير من حفظ سطرين[2].

وإذا تهاون في الفَهْمِ ولم يجتهد مرةً أو مرتين يعتادُ ذلك فلا يفهمُ الكلامَ اليسير، فينبغي أن لا يتهاوَنَ في الفهم بل يجتهدَ ويدعو اللهَ ويتضرّعَ إليه فإنه يجيبُ من دعاه، ولا يُخَيِّبُ من رجاه.

وأنشدنا الشيخ الأجل قوام الدين حماد بن إبراهيم بن إسماعيل الصفار الأنصاري إملاءً للقاضي الخليل بن أحمد الشجري[3] في ذلك شعراً:

أخدُم العلمَ خِدمةَ المستفيد ... وأدِمْ درسَهُ بفعلٍ حميدِ
وإذا ما حفظتَ شيئاً أَعِدْهُ ... ثم أكِّدْهُ غايةَ التأكيدِ
كي لا يزولَ ثم علّقه كي تعودَ ... إليه وإلى درسِهِ على التأبيدِ
فإذا ما أَمِنْتَ منه فَوَاتاً ... فانتدِبْ بعدَهُ لشيء جديدِ

(١) وقرين مثنى وِقر بكسر الواو: الحمل الثقيل، وهذا ليس على إطلاقه فإن السماع يلازم الحفظ غالباً.

(٢) في نسخ أخرى: وقرين.

(٣) الخليل بن أحمد، أبو سعيد الشجري، كان إماماً في كل علم، شائع الذكر معروفاً بالنظم والنثر توفي بسمرقند ٣٧٨ هـ (التاج ٢٠) وفي نسخ أخرى: السجرزي والسرخسي والسخري. ولكن ما ضبطناه هو الصحيح.

مع تكرار ما تَقَدَّمَ منه   واقتناء لشأن هذا المزيدِ
ذاكِرِ الناسَ بالعلوم لتحيا   لا تَكُنْ من أولي النُّهى ببعيدِ
إذا كتمتَ العلومَ أُنسيتَ حتى   لا تُرَى غيرَ جاهلٍ وبليدِ
ثم أُلجمت في القيامة ناراً   وتَلَهَّبْتَ بالعذابِ الشديدِ[1]

ولا بد لطالب العلم من المذاكرة، والمناظرة، والمطارحة، فينبغي أن يكون كل منها بالإنصافِ والتأني والتأمل، ويتحرز عن الشغب [والغضب]، فإن المناظرةَ والمذاكرةَ مشاورةٌ، والمشاورةُ إنما تكونُ لاستخراجِ الصوابِ وذلك إنما يحصُلُ بالتأمُّلِ والتأني والإنصاف، ولا يحصل بالغضب والشغب.

فإن كانت نيته من المباحثة إلزام الخصم وقَهْرَه، فلا تحل، وإنما يُحَلُّ ذلك لإظهارِ الحق.

والتمويهُ والحيلةُ لا يجوز فيها، إلا إذا كان الخصمُ متعنتاً، لا طالباً للحق.

وكان محمد بن يحيى[2] إذا تَوَجَّهَ عليه الاشكالُ ولم يَحْضُرْهُ

(١) وهذا اشارة الى قوله ﷺ: «من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار» رواه أبو داود والترمذي.

(٢) وجدت في كتب التراجم عدداً من العلماء من يحمل اسم: محمد بن يحيى، ولم يذكر المؤلف نسبة أو لقباً يرجّح أحدهم، إلا أننا نرى ترجيح أن يكون محمد بن يحيى هو أبو عبد الله الفقيه الجرجاني المتوفى ٣٩٧ أو ٣٩٨، والسبب فيما اخترناه أن صاحب «الهداية» عده من أصحاب التخريج وذكره في باب صفة الصلاة (الجواهر المضيئة ١٤٣/٢) ونعلم من سياق الكتاب تأثر المصنف بروايات استاذه برهان الدين.

الجوابُ يقول: ما ألزمتَهُ لازمٌ، وأنا فيه ناظرٌ، وفوقَ كلِّ ذي علمٍ عليم.

وفائدة المطارحةِ والمناظرةِ أقوى من فائدةِ مجرد التكرار لأن فيه تكراراً وزيادة.

وقيل: مطارحةُ ساعةٍ، خيرٌ من تكرار شهر.

لكنِ إذا كان [مع] منصفٍ سليمِ الطبيعة.

وإياكَ والمذاكرة مع متعنتٍ غيرِ مستقيم الطبع، فإن الطبيعة متسرية، والأخلاق متعدية، والمجاورة مُؤَثِّرة.

وفي الشعر الذي ذكره الخليل بن أحمد[1] فوائد كثيرة، قيل[2]:

العـلْمُ من شرطـه لمن خـدمـه أن يجعـلَ النـاسَ كلهم خـدمـه

وينبغي لطالبِ العلم أن يكونَ متأملاً في جميع الأوقاتِ في دقائق العلوم ويعتادَ ذلك، فإنما يُدرِكُ الدقائقَ بالتأمل، فلهذا قيل: «تأمل تُدرِك».

ولا بد من التأمّل قبل الكلام حتى يكونَ صواباً، فإن الكلامَ كالسهم، فلا بد من تقويمه قبل الكلام حتى يكونَ مصيباً.

وقال في أصول الفقه: هذا أصلٌ كبير وهو أن يكون كلامُ الفقيهِ المناظرِ بالتأمل.

قيل: رأسُ العقل أن يكون الكلامُ بالتَّثَبُّتِ والتأمل.

---

(١) هو القاضي الخليل بن أحمد الشجري، سبقت ترجمته.

(٢) يُنسب هذا البيت للشافعي، انظر الديوان ص ١٦٢.

قال قائلٌ شعراً:

أوصيكَ في نظمِ الكلامِ بخمسةٍ إن كُنْتَ للموصي الشفيقِ مُطيعاً
لا تُغْفِلَنَّ سَبَبَ الكلامِ ووَقْتَهُ والكيفَ والكَمَّ والمكانَ جميعاً

ويكونُ مستفيداً في جميع الأوقات والأحوال من جميعِ الأشخاص، قال رسول الله ﷺ:
«الحكمةُ ضالةُ المؤمن أينما وجدَها أخذها»[1].
وقيل: خذ ما صفا، ودع ما كدر.

وسمعت الشيخ الإمام الأجلّ الأستاذ فخر الدين الكاشاني[2] يقول:

كانت جارية أبي يوسف أمانة عند محمد [بن الحسن] فقال لها: هل تحفظين أنت في هذا الوقت عن أبي يوسف في الفقه شيئاً؟

قالت: لا، إلا أنه كان يكرر ويقول: سهم الدور ساقط، فحفظ ذلك منها، وكانت تلك المسألة مشكلة على محمد فارتفع أشكاله بهذه الكلمة. فعلم أن الاستفادة ممكنة من كل أحد.

ولهذا قال أبو يوسف حين قيل: بم أدركتَ العلم؟ قال: ما استنكفتُ من الاستفادة من كل أحد وما بخلت من الإفادة.

---

(١) رواه الترمذي مع اختلاف في اللفظ.
(٢) أظنه أبو بكر بن مسعود الكاشاني، الفقيه الحنفي المشهور المسمى بملك العلماء صاحب كتاب (بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع) ت ٥٨٧ هـ/١١٩١ م.

وقيل لابن عباس رحمه الله : بم أدركت العلم؟

قال : بلسان سؤول ، وقلب عقول .

وإنما سمي طالب العلم : « ما تقول » ، لكثرة ما كانوا يقولون في الزمان الأول . « ما تقول في هذه المسألة؟ » .

وإنما تفقه أبو حنيفة رحمه الله بكثرة المطارحة والمذاكرة في دكانه حين كان بزازاً[1] .

فبهذا يُعلم أن تحصيلُ العلمِ والفقه يجتمعُ مع الكسب .

وكان أبو حفص الكبير يكتسب ويكرر العلوم ، فإن كان لا بد لطالب العلم من الكسب لنفقة العيال وغيره فليكتسب وليكرر وليذاكر ولا يكسل .

وليس لصحيح العقل والبدن عذرٌ في ترك التعلم والتفقه ، فإنه لا يكون أفقر من أبي يوسف ، ولم يمنعه ذلك من التفقه . فمن كان له مال كثير فنعم المال الصالح للرجل الصالح ، المنصرف في طريق العلم[2] .

قيل لعالم : بم أدركت العلم؟ قال : بأبٍ غني . لأنه كان ينتفع به أهل العلم والفضل ، فإنه سبب زيادة العلمَ لأنه شكر على نعمة العقل والعلم ، وإنه سبب الزيادة .

---

(١) البزاز : بائع الثياب والمنسوجات .

(٢) المعنى مأخوذ من حديث رسول الله (نعم المال الصالح للرجل الصالح) الذي رواه الامام أحمد ٤/١٩٧ ، ٢٠٢

قيل: قال أبو حنيفة رحمه الله: إنما أدركتُ العلم بالحمد والشكر، فكلما فهمتُ ووُفّقتُ على فقه وحكمة قلت: الحمدُ لله، فازداد علمي.

وهكذا ينبغي لطالب العلم أن يشتغلَ بالشكر باللسان والجنان والأركان والحال ويرى الفهم والعلم والتوفيق من الله تعالى ويطلبَ الهداية من الله تعالى بالدعاء له والتضرع إليه، فإن الله تعالى هادٍ من استهداه.

فأهلُ الحق ـ وهم أهل السنة والجماعة ـ طلبوا الحقَّ من الله تعالى، الحقَّ المبين الهادي العاصم، فهداهم الله وعصمهم عن الضلالة.

وأهلُ الضلالة أُعجبوا برأيهم وعقلهم وطلبوا الحق من المخلوق العاجز وهو العقل، لأنَّ العقلَ لا يُدْرِكُ جميعَ الأشياء كالبصر، فإنه لا يُبْصِرُ جميعَ الأشياء فَحُجبوا وعَجَزوا عن معرفته، وضلّوا وأضلوا.

قال رسول الله ﷺ: «الغافل من عمل بغفلته والعاقلُ من عَمِلَ بعقله»[1]. فالعمل بالعقل أوّلاً: أن يعرف عجز نفسِه، قال رسول

---

(١) إن الحض على استعمال العقل بالمعنى القرآني ـ أي اعمال الفكر في الأمور ـ كثير في الآيات الكريمة وأما ورود لفظ (العقل) في الأحاديث فقد قال عنه الإمام ابن القيم: أحاديث العقل كلها كذب (المنار المنيف ٦٦ ـ ٦٧) ومعنى هذا الكلام لا ينافي أن يكون في الاحاديث حسن أو صدق معنى، وإنما الكلام هنا في السند ومدى صحة الرواية عن رسول الله ﷺ.

الله ﷺ: «مَنْ عَرَفَ نفسَه فقد عرف ربَّه»[١] فإذا عرف عجز نفسه عرف قدرةَ الله عز وجل، ولا يعتمد على نفسه وعقله بل يتوكل على الله، ويطلب الحق منه. ومن يتوكل على الله فهو حسبه ويهديه إلى صراط مستقيم.

ومن كان له مال كثير فلا يبخل، وينبغي أن يتعوذ بالله من البخل[٢].

قال النبي عليه السلام: «أيُّ دواء أدوأ من البخل»[٣].

وكان أبو الشيخِ الإمام الأجل شمس الأئمة الحلواني، رحمه الله فقيراً يبيع الحلواء، وكان يعطي الفقهاء من الحلواء ويقول: أدعوا لابني، فببركة جوده واعتقاده وشفقته وتضرعه إلى الله تعالى نال ابنه ما نال[٤].

ويشترى بالمال الكتب ويستكتبَ فيكونَ عوناً على التعلم والتفقه.

وقد كان لمحمد بن الحسن مال كثير حتى كان له ثلاثمائة من الوكلاء على ماله وأنفقه كلّه في العلم والفقه، ولم يبق له ثوبٌ نفيس

---

(١) حديث لا أصل له، قال عنه شيخ الاسلام ابن تيمية: موضوع، انظر «سلسلة الاحاديث الضعيفة الموضوعة» للمحدث الألباني ٦٦.

(٢) وهذا المعنى مأخوذ من حديث رسول الله: (اللهم إني أعوذ بك من الجبن والبخل..) الحديث، رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري والامام أحمد

(٤) ما ناله ابنه كان بجهده ودأبه في التعلم.

فرآه أبو يوسف في ثوب خَلِق فأرسل إليه ثياباً نفيسة فلم يقبلها فقال: عُجِّلَ لكم، وأُجِّلَ لنا، ولعله إنما لم يقبله وإن كان قبول الهدية سنة، لما رأى في ذلك مذلةً لنفسه[١].

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «لَيْسَ للمؤمن أن يُذِلَّ نفسه»[٢].

وحُكي أنَّ الشيخَ فخر الإسلام الارسابندي رحمه الله جمع قشورَ البطيخ الملقاة في مكان خالٍ فأكلها فرأته جارية فأخْبَرَتْ بذلك مولاها فاتخذَ له دعوةً فدعاه إليها فلم يقبل لهذا[٣].

وهكذا ينبغي لطالب العلم أنْ يكونَ ذا همةٍ عالية لا يطمعُ في أموال الناس.

قال النبي ﷺ: «إيّاكَ والطمعَ فإنه فقرٌ حاضر»[٤]. ولا يبخل بما عنده من المال بل ينفق على نفسه وعلى غيره.

قال النبي عليه الصلاة والسلام: «الناسُ كلُّهمْ في الفقر مخافةَ

---

(١) ولعله رفض ذلك من القاضي أبي يوسف لدخوله في عمل الحكام، ولذلك عرض له بقوله: عجّل لكم!!. وكان هذا خلق أكابر علماء ذلك الزمن بالابتعاد عن تولي أعمال الحكام.

(٢) رواه الامام أحمد والترمذي وابن ماجه ولفظه (لا ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه)

(٣) اتخذ له دعوة: أي أعد له طعاماً، لهذا: أي لئلا يذل نفسه.

(٤) حديث ضعيف، انظر «ضعيف الجامع الصغير وزياداته» للألباني رقم ٢٢٠١.

الفقر »[٤]. وكان في الزمان الأول يتعلمون الحِرفة[١] ثم يتعلمون العلم، حتى لا يطمعوا في أموال الناس[٢].

وفي الحكمة: من استغنى بمال الناس افتقر.

والعالم إذا كان طماعاً لا يُبقي حرمةَ العلم، ولا يقولُ بالحق، فلهذا يتعوذُ صاحبُ الشرع ﷺ منه ويقول: «أعوذُ بالله من طَمَعٍ يُدني إلى طبع »[٣].

وينبغي للمؤمن أن لا يرجو إلا من الله تعالى، ولا يخافَ إلاّ منه، ويَظْهَرُ ذلك بمجاوزة حد الشرع وعدمِها؛ فمن عصى اللهَ خوفاً من المخلوق فقد خافَ غيرَ الله، وإذا لم يعص اللهَ تعالى لخوف المخلوق وراقبَ حدودَ الشرع فلم يخف غير الله بل خاف الله تعالى، وكذا في جانب الرجاء.

وينبغي لطالبِ العلم أن يَعُدَّ ويُقَدِّرَ لنفسه تقديراً في التكرار فإنه لا يستقر قلبه حتى يبلغ ذلك المبلغ، وينبغي أن يكرر سَبْقَ الأمس خمسَ مرات، وسبق اليوم الذي قبل الأمس أربعَ مرات، والسبقَ الذي قبله ثلاثَ، والذي قبله اثنين، والذي قبله واحد، فهذا أدعى إلى الحفظ والتكرار.

---

(١) تنسب هذه الحكمة أثراً الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) الحرفة: الصناعة والمهنة، ولذلك نرى كثرة انتساب العلماء الى الصناعات، حتى كادت تفوق انتسابهم للبلاد والقبائل.

(٣) رواه الإمام أحمد من حديث معاذ ٥/٢٣٢ ولفظه (استعيذوا بالله من...) الحديث.

وينبغي أن لا يعتاد المخافتة في التكرار لأن الدرسَ والتكرار ينبغي أن يكون بقوة ونشاط، ولا يجهر جهراً يجهد نفسه كيلا ينقطع عن التكرار، فخير الأمور أوسطها[١].

حُكي أن أبا يوسف رحمه الله كان يُذاكرُ الفقهَ مع الفقهاء بقوةٍ ونشاطٍ، وكان صهرُهُ عندَهُ يتعجبُ في أمره ويقول: أنا أعلمُ أنّه جائعٌ منذ خمسةِ أيام، ومع ذلك يناظرُ بقوة ونشاط.

وينبغي أن لا يكون لطالب العلم فترةٌ[٢] فإنها آفة، وكان أستاذنا شيخُ الإسلام برهان الدين رحمه الله يقول: إنما غَلَبْتُ شركائي بأني لا تقع لي الفترة في التحصيل.

وكان يَحْكى عن الشيخ الاسبيجابي[٣] أنه وقع في زمان تحصيله وتعلمه فترةُ اثنتي عشرة سنة بانقلاب المُلْك، فخرج مع شريكه في المناظرة [إلى حيث يمكنهما الاستمرار في طلب العلم وظلا يدرسانه معاً] ولم يتركا الجلوس للمناظرة اثنتي عشرة سنة. فصار شريكه شيخ الإسلام للشافعيين وكان هو شافعياً.

---

(١) حديث مشهور المتن ضعيف السند، انظر الشوكاني في «الفوائد المجموعة» ٧٤٢، ومجمع الأمثال للميداني ٢٤٣/١.

(٢) الفترة: الانقطاع عن الدراسة لمدة معينة.

(٣) شيخ الاسلام علي بن محمد، فقيه حنفي، إمام ومصنف، هو شيخ برهان الدين صاحب «الهداية»، توفي بسمرقند عام ٥٣٥ هـ/١١٤٠ م.

ونسبته الى أسبيجاب، قال عنها ابن خلكان: «مدينة من أقصى بلاد الشرق وأظنها من اقليم الصين أو قريبة منه» وفيات الاعيان (٤٣٥/٣).

وكان أستاذنا الشيخ القاضي الإمام فخر الإسلام قاضي خان يقول:

ينبغي للمتفقه أن يحفظ [كتاباً] واحداً من [كتب[1]] الفقه دائماً فيتيسر له بعد ذلك حفظ ما سمع من الفقه.

(١) في الأصلين المخطوطين: نسخة ونسخ، والتصحيح من المطبوع.

فصل
في التوكّل

ثم لا بد لطالب العلم من التوكلِ في طلب العلم ولا يهتمُّ لأمر الرزق ولا يشغل قلبه بذلك.

روى أبو حنيفة رحمه الله عن عبد الله بن الحارث الزبيدي[١] صاحب رسول الله ﷺ: « من تفقّهَ في دين الله كفى همَّه اللهُ تعالى ورزقه من حيث لا يحتسب »[٢]. فإن من اشتغل قلبُه بأمر الرزق من القوت والكِسوة قلَّ ما يتفرغُ لتحصيل مكارم الأخلاق ومعالي الأمور.

قيل[٣]:

دَعِ المكارمَ لا ترحَلْ لِبُغْيَتِها ... واقعد فإنكَ أنتَ الطاعمُ الكاسي

---

(١) في الأصل المخطوط وفي النسخ المطبوعة: ابن الحسن، والتصحيح من « مسند أبي حنيفة » ص ٧، وهو عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي، وانظر مسند الإمام أحمد ٤/١٩٠.

(٢) انظر مسند أبي حنيفة، باب العلم ص٧ ولفظه (من تفقه في دين الله كفاه الله مهمه ورزقه من حيث لا يحتسب) وسمعه أبو حنيفة من عبد الله في المسجد الحرام عام ٩٦ هـ.

(٣) البيت للشاعر الحطيئة من قصيدة يهجو بها الزبرقان بن بدر، نهاه بعدها عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يعود الى هجاء المسلمين، انظر الديوان ص ٢٨٤.

قال رجل [لابن][1] منصور الحلاّج[2]: أوصني، فقال [ابن] المنصور: هي نفسك، إن لم تشغلها شغلتك.

فينبغي لكل أحد أن يشغل نفسه بأعمال الخير حتى لا يشغل نفسه بهواها، ولا يهتم العاقل لأمر الدنيا لأن الهم والحزن لا يَرُدُّ المصيبة، ولا ينفع بل يضر بالقلب والبدن والعقل، ويُخِلُّ بأعمال الخير، ويهتم لأمر الآخرة لأنه ينفع. وأما قوله عليه الصلاة والسلام: «إنّ من الذنوب ذنوباً لا يُكَفِّرُها إلا هَمُّ المعيشة»[3] فالمرادُ منه قَدْرُ هَمّ لا يُخِلُّ بأعمالِ الخير ولا يشغَلُ القلبَ شُغلاً يُخلُّ بإحضارِ القلب في الصلاة، فإن ذلك القدرَ من الهَمِّ والقصد من أعمال الآخرة.

ولا بد لطالب العلم من تقليل العلائق الدنيوية بقدر الوسع فلهذا اختاروا الغربة.

ولا بدَّ من تحمّل النّصَب والمشقة في سفر التعلم، كما قال موسى صلوات الله على نبينا وعليه في سفرِ التعلم ولم يُنقل عنه ذلك في

---

(١) الزيادة هي من تصحيحنا لاسم صاحب هذا القول.

(٢) الحسين بن منصور الحلاج: فيلسوف، يعد من كبار المتصوفة أدعى الحلول، وهو من كبار الملحدين ـ عند العلماء ـ حتى اتفقوا على قتله، فضرب وقتل عام ٣٠٩/٩٢٢. اصله من فارس.

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية وابن عساكر عن أبي هريرة: «إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة، يكفرها الهموم في طلب المعيشة»، قال الحافظ العراقي في المغني: سنده ضعيف، انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير ٥٢٦/٢.

غيره من الأسفار ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾[1].

لِيُعْلَم أنَّ سفرَ العلمِ لا يَخْلُو عن التعب، لأنَّ طلبَ العلم أمرٌ عظيم وهو أفضلُ من الغزاة[2] عند أكثر العلماء، والأجرُ على قدر التعب والنَّصَب، فمن صبر على ذلك التعب وجد لذة العلم تفوق [لذات الدنيا].

ولهذا كان محمدُ بن الحسن إذا سَهِر الليالي وانحلت له المُشْكلات يقول: أين أبناءُ الملوكِ من هذه اللّذات؟.

وينبغي [لطالبِ العلمِ] ألا يشتغلَ بشيء [آخرَ غيرِ العلم] ولا يُعْرِضَ عن الفقه.

قال محمد بن الحسن رحمه الله: صناعتُنا هذه من المهد إلى اللحد فمن أرادَ أن يتركَ عِلْمَنا هذا ساعةً فَلْيَتْرُكْهُ الساعة[3].

ودخل فقيهٌ، وهو إبراهيم بن الجراح[4]، على أبي يوسف يعودُهُ في مرضِ موته وهو يجودُ بنفسه، فقال أبو يوسف: رَمْيُ الجمار راكباً أفضلُ أم راجلاً؟ فلم يعرف الجواب، فأجاب بنفسه[5].

---

(١) سورة الكهف، الآية ٦٢.

(٢) في الأصل الأول: الغزاوة.

(٣) ويشبهه قول الإمام أحمد بن حنبل: مع المحابر من المهد إلى المقابر.

(٤) ابراهيم بن الجراح بن صبيح المازني الكوفي نزيل مصر، فقيه حنفي تفقه على أبي يوسف، ولي قضاء مصر سنة ٢٠٥ توفي في مصر ٨٣١/٢١٧.

(٥) وكان الجواب: ما كان يوقف عنده للدعاء فالأفضل راجلاً، وما لا يوقف عنده فالأفضل ان يرميه راكباً. (الجواهر المضيئة ١/٣٦).

وهكذا ينبغي للفقيه أن يشتغلَ به في جميع أوقاته [فحينئذ] يجد لذةً عظيمة في ذلك.

وقيل: رؤي محمد [بن الحسن] في المنام بعد وفاته فقيل له: كيف كنتَ في حالِ النزع؟ فقال: كنتُ متأملاً في مسألة من مسائل المُكاتَبْ[1]، فلم أشعر بخروج روحي.

وقيل إنه قال في آخر عمره: شغلتني مسائل المُكاتب عن الاستعداد لهذا اليوم، وإنما قال ذلك تواضعاً.

(١) المكاتب: هو العبد الذي تعاقد مع سيده ان يعتقه نظير مبلغ مؤجل يصير حراً بعد سداده.

فصــل
في وقت التحصيل

قيل: وقت التعلم من المهد إلى اللحد.

دخل حسن بن زياد في التفقه وهو ابن ثمانين سنة، ولم يبت على الفراش أربعين سنة فأفتى بعد ذلك أربعين سنة[1].

وأفضل الأوقات شرخ[2] الشباب، ووقتُ السَحَر، وما بين العِشائين[3]. وينبغي أن يستغرقَ جميعَ أوقاتِهِ، فإذا ملَّ من علمٍ يشتغلُ بعلمٍ آخر.

وكان ابن عباس[4] رضي الله عنه إذا مَلَّ من الكلام يقول: هاتوا ديوانَ الشعراء.

---

(١) الحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي نسبته الى بيع اللؤلؤ، صاحب أبي حنيفة، كان يقظاً فطناً فقهياً، ولي قضاء الكوفة، توفي سنة ٢٠٤/٨١٩ ولم أتحقق من سنة مولده وعلى ذلك فلا نعرف صحة ما ذكر عنه.

(٢) شرخ الشباب: أوله.

(٣) وقت السحر: قبيل الصبح، العشاءان: المغرب والعشاء.

(٤) عبدالله بن عباس: ابن عم رسول الله ﷺ لازم الرسول وروى عنه الأحاديث، لُقب بحبر الأمة وترجمان القرآن، كان كثيراً ما يجعل أيامه يوماً للفقه ويوماً =

وكان محمدُ بن الحسن لا ينامُ الليل ، وكان يضعُ عنده الدفاتر ، وكان إذا مَلَّ من نوعٍ ينظُرُ في نوعٍ آخر ، (وكان يضعُ عنده الماءَ ، ويزيلُ نومَهُ بالماءِ ، وكانَ يقول : إن النومَ من الحرارة)[1] .

= للتأويل ـ التفسير ـ ويوماً للمغازي ، ويوماً للشعر ، وكان آية في الحفظ ، توفي عام ٦٨٧/٦٨ .

(١) زيادة في المخطوطين.

فصـــل
في الشفقة والنصيحة

ينبغي أن يكونَ صاحب العلم مُشفقاً ناصحاً غيرَ حاسد، فالحسدُ يَضُرُّ ولا ينفع. وكان أستاذُنا شيخُ الإسلام برهانُ الدين رحمه الله يقول: قالوا إن ابن المُعَلِّم يكون عالماً لأن المُعَلِّمَ يريدُ أنْ يكونَ تلميذه في القرآن عالماً فببركةِ اعتقادهِ وشفقته يكونُ ابنُهُ عالماً [١].

وكان أبو الحسن[٢] يحكي أن الصدرَ الأجلَّ برهانُ الأئمةِ[٣] جعلَ وَقْتَ السَّبْق لابنيه الصدرِ الشهيد حُسامِ الدين[٤] [والصدر] السعيد تاج الدين وقتَ الضحوة الكبرى بعد جميعِ الاسباق، وكانا يقولان: إن طبيعتَنا تَكَلُّ وتَمَلُّ في ذلك الوقت، فقال أبوهما رحمه الله: إن الغرباء وأولادَ الكبراء يأتونني من أقطارِ الأرض فلا بُدَّ

(١) وليس هذا مضطرداً بل العكس هو الأكثر والأشهر.

(٢) هو علي بن أبي بكر صاحب «الهداية»، استاذ المصنف، وقد سبقت ترجمته.

(٣) هو الإمام عبدالعزيز بن عمر، فقيه حنفي من علماء القرن الخامس الهجري.

(٤) الإمام عمر بن عبدالعزيز، فقيه حنفي له تصانيف عديدة في الفقه، وهو استاذ صاحب الهداية، توفي شهيداً عام ٥٣٦/١١٤١.

من أنْ أُقدَّم أسباقَهم . فببركةِ شفقتهِ فاقَ ابناهُ أكثرَ فقهاء الأمصارِ ، وأهل الأرض في ذلك العصر .

وينبغي أن لا يُنازعَ أحداً ولا يُخاصِمَه لأنه يضيعُ أوقاتَه .

قيل : المُحْسِنُ سيُجْزَى بإحسانِهِ والمسيء ستكفيه مساويه .

أنشدني الشيخ الإمام الزاهد العارف ركن الإسلام محمد بن أبي بكر المعروف بإمام خواهر زاده مفتي الفريقين رحمه الله[1] قال : أنشدني سلطانُ الشريعة والطريقة يوسفُ الهمذاني :

لا تجز [إنساناً] على سوء فعلِهِ سيكفيه ما فيه وما هُوَ فاعِلُه[2]

قيل : من أرادَ أنْ يُرغِمَ أنفَ عدوّه فليكرر وأُنشدتُ هذا الشعر :

إذا شئتَ أن تَلْقَى عدوَّك راغماً وتقتلَه غماً وتَحْرِقَهُ هَمّاً
فَرُمْ[3] للعُلى وازْدَدْ من العلم إنّه مَنِ ازدادَ عِلْماً زادَ حاسِدُه غمّاً

قيل : عليك أن تشتغلَ بمصالحِ نفسكِ لا بقهرِ عدوّك ، فإذا أقمتَ مصالحَ نفسك تَضَمّنَ ذلك قَهْرَ عدوك . إياك والمعاداة فإنها

---

(١) امام فاضل فقيه وواعظ وأديب ، مفتي أهل بخارى توفي عام ١١٦٢/٥٧٣ ويذكر القرشي في « الجواهر » (٣٦/٢) وابن قطلوبغا في « التاج » (٤٤ ـ ٤٥) انه معروف بلقب « إمام زاده » .

(٢) في المخطوط الثاني : (دع المراء لا تجزه على سوء فعله ...) .

(٣) رم للعلى : اطلب العلى ، فعل أمر من رام الشيء : طلبه

تَفْضَحك وتُضِيعُ أوقاتك، وعليك بالتحمّل [لا] سيما[1] من السُّفهاء.

قال عيسى بن مريم صلوات الله عليه: احتملوا من السفيه واحدةً كَيْ تربحوا[2] عَشْرا[3].

وأُنشِدْتُ لبعضهم شعراً:

بلوْتُ النـاسَ قرنـاً بَعْـدَ قرن ... ولم أر غـير خَتّـالٍ وقـالي[4]

ولم أر في الخطوب أشدَّ وقعـاً ... وأصعـبَ من مُعاداةِ الرجال

وذُقْـتُ مرارةَ الأشيـاءِ طُراً ... ومـا ذقـت أمرَّ من السؤال

وإياكَ أنْ تَظُنَّ بالمؤمن سوءً فإنه منشأُ العداوة ولا يَحِلُّ ذلك، لقوله عليه الصلاة والسلام: «ظُنُّوا بالمؤمنين خيراً»[5] وإنما ينشأ ذلك من خُبْثِ النيةِ وسوء السريرة، كما قال أبو الطيب[6]:

إذا ساءَ فِعْلُ المرءِ ساءَتْ ظُنُونُه ... وصَدَّقَ ما يعتادُهُ من تَوَهُّمِ[7]

---

(١) في الأصل: سيا، بحدف اداة النفي، وهذا الاستعمال تعبير مولد ويؤدي الغرض إلا أننا آثرنا التعبير الأصيل.

(٢) في الأصل المخطوط: تتخلصوا، والتصحيح من نسخة مطبوعة.

(٣) هذا القول غير مذكور في الأناجيل المتداولة حالياً وربما يكون من كلامه عليه السلام المحفوظ عنه قديماً.

(٤) ختّال: مخادع، قالي: كاره، من قلاه يقليه إذا كرهه.

(٥) لم أجد هذا النص بلفظه، إلا أن الاحاديث التي تأمر بتحسين ظن المسلمين بعضهم ببعض كثيرة، كالحديث الذي رواه أبو داود والحاكم «حسن الظن من حسن العبادة».

(٦) البيتان من قصيدة قالها أبو الطيب المتنبي يمدح بها الاستاذ كافورالأخشيدي، أنظر ديوانه ص ٤٥٩.

(٧) يعتاده: ينتابه ويرد على ذهنه من خواطر وأوهام.

وعادى محبيه بقولِ عُداتِهِ وأصْبَحَ في ليلٍ من الشّكِّ مظلمِ [1]

وأُنشِدْتُ لبعضهم :

تَنَحَّ عن القبيح ولا تُرِدْهُ ومن أوليتَهُ حُسْناً فَزِدْهُ
ستُكفى من عَدُوِّك كلَّ كيدٍ إذا كادَ العَدُوُّ فلا تَكِدْهُ

وأُنشِدْتُ للشيخ العميدِ أبي الفتح البُسْتيّ[2] :

ذو العَقْلِ لا يَسْلَمُ من جَاهِلٍ يَسُومُهُ ظلماً وإعناتا [3]
فليختر السِّلْمَ على حَرْبِهِ وليلزم الإنصاتَ إن صاتا [4]

---

(١) العداة : بضم العين جمع العادي وهو العدو .

(٢) هو ابن احمد بن الحسين البستي الشاعر الكاتب صاحب التجنيس مات ببخارى عام ٤٠٠/١٠٠٩ ، ونسبته الى بُست : بلدة كبيرة في سجستان وهراة ، وقيل فيه :

فلو أنني أدركت يوماً عميدها لزمت يد البستي دهراً وبستها

(معجم البلدان ٢/١٧٠ - ١٧١)

(٣) الإعنات : الاحراج من أعنته أي أحرجه وأوقعه فيما لا يستطيع الخروج منه .

(٤) الإنصات : الإصغاء ويريد به السكوت ، وإن صاتا : أي أن أحدث صوتاً والألف هنا للإشباع .

فصـــل
في الاستفادة واقتباس الأدب

وينبغي أنْ يكون طالبُ العالم مستفيداً في كل وقتٍ حتى يحصُلَ له الفضلُ والكمالُ في العلم. وطريقُ الاستفادة أنْ يكونَ معه في كل وقتٍ محبرة حتى يكتب ما يسمع من الفوائد العلمية.

قيل: مَنْ حَفِظَ فَرَّ ومن كَتَبَ قَرَّ(١).

وقيل: العلمُ ما يؤخذ من أفواهِ الرجال، لأنهم يحفظون أحسنَ ما يسمعون، ويقولون أحسنَ ما يحفظون.

وسمعتُ عن الشيخ الإمام الأديبِ الأستاذِ زينِ الإسلام المعروفِ بالأديب المختار يقول: قال هلال [بن زيد] بن يسار(٢): رأيتُ النبيَ ﷺ يقول لأصحابِهِ شيئاً من العلمِ والحكمةِ، فقلتُ: يا رسولَ الله

---

(١) من حفظ فر: أي من حفظ شيئاً فر منه ما حفظه، ومن كتب شيئاً استقر وسكن عنده ما كتبه.

(٢) في الأصلين المخطوطين وفي المطبوع: هلال بن يسار، والتصحيح من الخلاصة للخزرجي ص٤١١، وهو مولى رسول الله ﷺ، روى عن أنس وقال ابن عدي: أحاديثه غير محفوظة.

أَعِدْ لي ما قلت لهم ، فقال لي : هل مَعَك مِحْبَرَة؟ فقلت : ما معي محبرة[1] ، فقال النبي عليه السلام : « يا هلال لا تُفارق المحبرة لأن الخيرَ فيها وفي أهلِها إلى يومِ القيامة »[2] .

وَوَصّى الصدرُ الشهيدُ حُسامُ الدين إبنَه شمسَ الدين[3] أنْ يحفظَ كُلَّ يومٍ شيئاً من العلم والحكمة فإنه يسير ، وعن قريبٍ يكونُ كثيراً .

واشترى عصام بن يوسف[4] قَلَماً بدينار ليكتبَ ما يسمعه في الحال ، فالعُمْرُ قصير والعلمُ كثير .

فينبغي أن لا يُضيعَ طالبُ العلم الأوقاتِ والساعاتِ ويغتنم الليالي والخلوات .

يُحكى عن يحيى بن معاذ[5] الرازي [أنه قال] الليلُ طويل فلا تَقَصِّرْهُ بمنامِكَ ، والنهارُ مُضِيءٌ فلا تُكدِّرْهُ بآثامِك .

---

(١) عن المحبرة وضرورة حملها يراجع : أدب الإملاء والاستملاء (١٥٢ - ١٥٣) للسمعاني طبعة بريل - ليدن ١٩٥٢ .

(٢) لم أجد هذا الحديث بنصه ولا بمعناه في أي من دواوين الاحاديث التي تيسر لي الاطلاع عليها .

(٣) محمد بن عمر بن عبد العزيز ، فقيه من بخارى ومن فحول علمائها ، له فضل وتقدم توفي عام ٥٦٦/١١٧٠ .

(٤) عصام بن يوسف البلخي ، كان من العلماء المحدثين الثقات ، عاصر أصحاب أبي حنيفة ، وتوفي ببلخ عام ٢١٠ أو ٢١٥/٨٢٥ أو ٨٣٠ .

(٥) يحيى بن معاذ : واعظ زاهد من أهل الرأي ، له كلمات سائرة ، توفي بنيسابور عام ٢٥٨/٨٧٢ .

وينبغي أنْ يغتنمَ الشيوخَ ويستفيدَ منهم، وليس كُلُّ ما فات يُدْرَك، كما قال أستاذُنا[١] شيخُ الإسلام في «مشيخته»[٢]: كم من شيخٍ كبير أدركتُهُ وما استَخْبَرْتُهُ.

وأقولُ على هذا الفوت مُنْشِئاً هذا البيت:

لَهْفاً عـلى فوتِ التَـلاَقي لَهْفـا ما كُلُّ ما فات ويفنى يُلْفَى[٣]

قال عليّ رضي الله عنه: إذا كنتَ في أمرٍ فكن فيه[٤]، وكفى بالإعراض عن علم الله خِزْياً وخَساراً واستعذ بالله منه ليلاً ونهاراً.

ولا بد لطالب العلم من تَحَمُّل المشقة والمذلة في طلب العلم، والتَمَلُّقُ مذمومٌ إلا في طلب العلم فإنه لا بدَّ له من التملقِ للأستاذ والشريك وغيرهم للاستفادة منهم[٥].

قيل: العلمُ عِزٌّ لا ذُلَّ فيه، لا يُدْرَكُ إلا بذلٍّ لا عِزَّ فيه.

وقال القائل:

أرى لَكَ نفساً تشتَهي أنْ تُعِزَّها فلستَ تنـالُ العزّ حتى تُـذِلّها

---

(١) أي شيخ الاسلام علي بن أبي بكر صاحب «الهداية».

(٢) المشيخة: هي سجل يذكر فيه العالم أسماء الذين روى عنهم وشيء مما رواه وسند شيوخه.

(٣) يلفى: يوجد، ورواه اللكنوي بصيغة أخرى: (ص١٤٢)

لهفي على فوت الليالي لهفي كله فات ويبقى لهفي

(٤) يعني إذا كنت في طلب أمر فتفرغ له واجتهد في تحصيله.

(٥) ورد هذا المعنى في فصل «تعظيم العلم وأهله» (ص٨٥) ولنا تعليق عليه هناك فليراجع.

فصــل
في الورع في حالة التعلّم

روى بعضُهم حديثاً في هذا الباب عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من لم يتورع في تعلمه ابتلاهُ الله تعالى بأَحَدِ ثلاثةِ أشياء : إما أن يُميتَهُ في شبابهِ ، أو يوقِعَهُ في الرَسَاتيق ، أو يَبْتَلِيَهُ بخدمة السلطان »[1] فكلما كانَ طالبُ العلم أورَعَ كانَ علمُهُ أنفع ، والتعلّمُ له أيسر وفوائِدُهُ أكثر .

ومن الورع [الكامل] أن يتحَرَّزَ عن الشبعِ وكثرةِ النوم وكثرةِ الكلام فيما لا ينفع ، وأن يتحرزَ عن أكلِ طعام السوقِ إنْ أمكن ، لأنَّ طعامَ السوق أقربُ إلى النجاسةِ والخباثةِ ، وأبعدُ عن ذكرِ الله وأقربُ إلى الغفلة ، ولأن أبصارَ الفقراء تقعُ عليه ولا يَقْدِرُون على

(١) يظهر لنا من معنى الحديث أنه موضوع ، ولم نعثر على حديث قريب من معناه كما أن بعض ألفاظه لم ترد على لسان رسول الله ﷺ فيما نعلم ، عدا هذا فإن المصنف عزا الرواية إلى (بعضهم) ولم يسمّ مما يؤيد رأينا الذي أبديناه ، ثم إن مثل هذا التهديد مستغرب فإن التقوى والخشوع فضل يؤتيه الله من يشاء من عباده وعلى المرء أن يلتمس الأسباب . وفي هذا المعنى قال الشافعي قوله المشهور : طلبنا العلم لغير الله ، فأبى العلم أن يكون إلا لله .

الشراء منه، فيتأذّوْن بذلك فتذهَبُ بركتُه.

وحكي أن الامام الشيخَ الجليلَ محمد بن الفضل(١) كان في حال تعلُّمِهِ لا يأكل من طعام السوق، وكان أبوه يسكُنُ في الرساتيق ويهيئُ طعامَه ويدخل إليه يوم الجمعة، فرأى في بيتِ ابنه خبزَ السوق يوماً فلم يكلِّمْهُ ساخِطاً على ابنه فاعتذر ابنُه، فقال: ما اشتريتُ أنا ولم أرض به ولكن أحضَرَهُ شريكي، فقال أبوه: لو كنتَ تحتاط وتتورع عن مثله لم يجرؤ شريكُك على ذلك.

وهكذا كانوا يتورعون فلذلك وُفِّقُوا للعلم والنشر حتى بقي اسمُهم إلى يومِ القيامة.

ووصى فقيه من زُهّاد الفقهاء طالبَ العلم أن يتحرز عن الغيبةِ وعن مجالسة المكثار، وقال: من يُكثِرِ الكلامَ يَسْرِق عمرَك ويضيعُ أوقاتك.

ومن الورع أنْ يَجْتَنِبَ من أهل الفسادِ والمعاصي والتعطيل، [ويجاور الصلحاء] فإن المجاورة مؤثرة، وأن يجلس مستقبل القبلة ويكونَ مستناً(٢) بسنة النبي عليه الصلاة والسلام، ويغتنم دعوة أهل الخير، ويتحرزَ عن دعوة المظلومين.

وحُكي أنَّ رجلين خرجا في طلب العلم للغربة وكانا شريكين

(١) الأرجح أن يكون: محمد بن الفضل، أبو بكر الفضلي الكماري، قال اللكنوي في «الفوائد البهية» (ص١٨٤) (كان إماماً كبيراً وشيخاً جليلاً معتمداً في الرواية، توفى ٣٨١/٩٩١).

(٢) أي متبعاً لسنة النبي ﷺ في جميع أعماله وأوامره.

فرجعا بعد سنين إلى بلدهما وقد فَقِهَ أحدُهما ولم يفقه الآخر ،فتأمل فقهاءُ البلاد وسألوا عن حالهما وتكرارهما وجلوسهما فأُخبروا أنَّ جلوسَ الذي تفقه في حال التكرار كان مستقبلاً القبلة والمِصْرَ[1] الذي [حصّل العلم فيه] والآخر كان مستدبراً القبلة ووجهَه إلى غير المصر. فاتفق العلماء والفقهاء أنَّ الفقيه فَقِهَ ببركة استقبال القبلة إذ هو السنة في الجلوس إلا عند الضرورة، وببركة دعاء المسلمين فإن المصر لا يخلو من العبّادِ وأهلِ الخير والزهد، فالظاهر أن عابداً دعا له في الليل.

فينبغي لطالب العلم أن لا يتهاون بالآداب والسنن، ومن تهاون بالأدب حُرم السننِ، ومن تهاون بالسنن حُرم الفرائض، ومن تهاون بالفرائض حرم الآخرة. وبعضهم قالوا بهذا حديثاً عن رسول الله ﷺ[2].

وينبغي أن يُكثر الصلاة، ويصلي صلاة الخاشعين، فإن ذلك عونٌ له على التحصيل والتعلم.

وأَنشِدْتُ للشيخ الامام الجليل الزاهد الحجاج نجمِ الدين عُمُر بن محمد النسفي[3] شعراً:

---

(١) المصر: المدينة.

(٢) التهاون بالفرائض والسنن والآداب الشرعية أمر منهي عنه بكثرة، ولكننا لم نجد حديثاً بلفظه.

(٣) عمر بن محمد النسفي، فقيه محدث أديب كثير التصانيف، قال السمعاني: كان له شعر حسن مطبوع على طريقة الفقهاء وهو شيخ صاحب «الهداية» توفي بسمرقند عام ٥٣٧/١١٤٢.

كُنْ لـلأوامر والنواهي حـافظـاً وعـلى الصـلاة مواظبـاً ومحـافظـاً
واطلـبعلومالشرعواجهـدواستعن بـالطيبـات تَصِرْ فقيهـاً حـافـظ .
واسئـل إلَهكَ حفظَ حِفْظِكَ راغبـاً من فضلـه فـالله خـير حـافظـا[1]

كُنْ لـلأوامر والنواهي حـافظـاً وعـلى الصـلاة مواظبـاً ومحـافظـاً
واطلـبعلومالشرعواجهـدواستعن بـالطيبـات تَصِرْ فقيهـاً حـافـظ .
واسئـل إلَهكَ حفظَ حِفْظِكَ راغبـاً من فضلـه فـالله خـير حـافظـا[2]

وقال رحمة الله عليه:

أطيعوا وجـــدوا ولا تكسلوا وأنتم إلى ربـــــكم تُرجعون
ولا تهجعوا فخيـــــار الورى قليـلا من الليـل مـا يهجعون[3]

وينبغي أن يستصحب دفتراً على كل حال ليطالعه. وقيل: من لم يكن الدفتر في كُمِّهِ[1] لم تثبت الحكمةُ في قلبه.

وينبغي أن يكونَ في الدفتر بياض ويستصحب المحبرة ليكتب ما يسمع من العلماء. وقد ذكرنا حديث هلال بن يسار.

---

(١) في الشعر اقتباس من القرآن الكريم من سورة يوسف، الآية ٦٤.
(٢) لا تهجعوا: لا تناموا، الورى: الخلق، وفي الشعر اقتباس من القرآن من سورة الذاريات، الآية ١٧.
(٣) المراد هنا: الجيب.

فصـــل
فيما يورث الحفظ
وفيما يورث النسيان

وأقوى أسباب الحفظ : الجِدُّ والمواظبةُ ، وتقليلُ الغذاء ، وصلاةُ الليل ، وقراءةُ القرآن من أسباب الحفظ .

قيـل : ليس شيءٌ أزيـدَ للحفـظ من قراءةِ القرآن نظراً[1] ، والقراءةُ نظراً أفضلُ لقوله عليه الصلاة والسلام : « أعظم أعمال أمتي قراءة القرآن نظراً »[2] ورَأَى شدادُ بن حكيم[3] بعضَ إخوانه في المنام ، فقال لأخيه : أي شيء وجدته أنفع؟ قال : قراءة القرآن نظراً .

---

(١) نظراً : أي تلاوة من المصحف .

(٢) روى مكحول عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : « أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن نظراً » ورواه الحكيم الترمذي ، وهو حديث ضعيف ، أنظر « الجامع لأحكام القرآن » للقرطبي ٢٨/٢ ، و« التذكار في أفضل الاذكار » للقرطبي أيضاً ص١١٥ ، وقال النووي في « الاذكار » (ص١٠) : « قراءة القرآن في المصحف أفضل من القراءة من حفظه ، هكذا قال أصحابنا ـ يعني الشافعية ـ وهو مشهور عن السلف » .

(٣) لعله شداد بن حكيم ، من أصحاب زفر ، وقد تولى القضاء ، توفي عام ٨٢٥/٢١٠ (الجواهر المضيئة ٢٥٦/١) .

ويقول عند رفع الكتاب: بسم الله وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم العزيز العليم، عدد كل حرف كتب ويكتب أبد الآبدين ودهر الداهرين[١].

ويقول بعد كل مكتوبة: آمنت بالله الواحد الأحد الحق، وحده لا شريك له، وكفرت بما سواه[٢].

ويكثر الصلاة على النبي عليه السلام فإن ذكره رحمة للعالمين.

[قال الشافعي رضي الله عنه:[٣]]

شكوتُ إلى وكيعٍ سوء حفظي ... [فأرشدني] إلى ترك المعاصي[٤]
فإن الحفظ فضل من الله ... وفضل الله لا يُعطى لعاصي[٥].

---

(١) أورده الأبشيهي في «المستطرف قائلا: (ووجد في بعض الآثار عن بعضهم أنه قال: إذا أردت أن تكون احفظ الناس فقل عند رفع الكتاب...) ١/٢٢.

(٢) ذكر الأبشيهي (وإذا أردت أن ترزق الحفظ فقل خلف كل صلاة مكتوبة...) ١/٢٢.

(٣) في الأصل المخطوط (وقيل...) والتصحيح من المطبوع، ومن شهرة نسبة الشعر إلى الشافعي.

(٤) الوكيع: من له قلب واع وعينان تنظران، وكان وكيع بن الجراح المتوفى عام ١٩٧/٨١٢ من شيوخ الامام الشافعي، فلا يستغرب أن تكون شكواه إلى شيخه وكيع، أو إلى شخص آخر واع وبصير.

(٥) ورواية الشافعي لهذا البيت:

وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لا يهدى لعاصي

ورواية الأصل قد لا تستقيم وزناً.

والسواك وشرب العسل[1] وأكل الكُندُر مع السكر[2] وأكل إحدى وعشرين زبيبة حمراء[3] كل يوم على الريق يورث الحفظ ويشفي من كثير من الأمراض والاسقام، وكل ما يقلل البلغم والرطوبات يزيد في الحفظ[4]، وكل ما يزيد في البلغم يورث النسيان.

وأما ما يورث النسيان فهو: المعاصي وكثرة الذنوب والهموم والأحزان في أمور الدنيا، وكثرة الاشتغال والعلائق، وقد ذكرنا أنه لا ينبغي للعاقل أن يهتم لأمر الدنيا لأنه يضر ولا ينفع، وهموم الدنيا لا تخلو عن الظلمة في القلب، وهموم الآخرة لا تخلو عن النور في القلب، ويظهر أثره في الصلاة، فهمُّ الدنيا يمنعه من الخيرات، وهمّ الآخرة يحمله عليه، والاشتغال بالصلاة على الخشوع وتحصيل

---

(١) روي عن الزهري في شرب العسل «عليك بالعسل فإنه جيد للحفظ» الطب النبوي لابن القيم ٢٦٣.

(٢) الكندر: كلمة فارسية تعني اللبان، وقد ورد فيه حديث لا يصح «بخروا بيوتكم باللبان والصعتر» ويذكر عن ابن عباس أن شربه مع السكر على الريق جيد للبول والنسيان. قارن الطب النبوي ص٣٠١.

(٣) قال ابن القيم عن الزبيب: روى فيه حديثان لا يصحان، أحدهما: «نعم الطعام الزبيب: يطيب النكهة ويذيب البلغم» وهذا مما لا يصح عن رسول الله، ص٢٤٥.

(٤) الاهتمام ببعض المأكولات أو الأشربة التي يُعتقد أنها تزيد في الحفظ هو اعتقاد قديم ومعروف، ويروى لنا ابن خلكان (٣/٤٥) أن جماعة من الطلاب شربوا قدراً من البلاذر محلولاً بالماء لأجل سرعة الحفظ والفهم، فحصل لأحدهم الجنون... (نقلاً عن تاريخ العرب ٢/٤٩٨).

العلم ينفي الهم والحزن، كما قال الشيخ نصر بن الحسن المرغيناني في قصيدة له:

إستعنْ نصرَ بن الحسن في كـــــل عـــــلم يُختزن
ذاكَ الـــــــذي ينفي الحزن ومـــا سواهُ بـــاطـــلٌ لا يؤتمن

والشيخ الامام الأجل نجم الدين عمر بن محمد[1] النسفي قال في أم ولد له:

سلامٌ على من تيّمتني بظرفها ولمعة خدها ولمحة طرفها
سبَتْني وأصبتني فتاةٌ مليحة تحيرت الأوهام في كنه وصفها
فقلت: ذريني واعذريني فإنني شُغفت بتحصيل العلوم وكشفها
ولي في طلاّبِ الفضل والعلم والتقى غنًى عن غناء الغانيات وعِرفها

وأما أسباب نسيان العلم:

فأكل الكزبرة الرطبة، والتفاح الحامض، والنظر إلى المصلوب، وقراءة الخط المكتوب على حجارة القبور، والمرور بين قطار الجمال[2]، وإلقاء القمل الحي على الأرض، والحجامة على نُقرةِ القفا، كلها يورث النسيان[3].

---

(١) في الأصل: عمر بن حسن، والتصحيح من ترجمته السابقة.
(٢) المرور بين قطار الجمل: أي المشي بين جملين مقطورين إلى بعضهما.
(٣) قارن «بالطب النبوي» لابن القيم حيث أورد هذه الأسباب، وقال: إن أكثرها معروف بالتجربة. ص٣٠٢.

فصـــل

فيما يجلب الرزق وفيما يمنع وما يزيد في العمر وما ينقص

ثم لا بد لطالب العلم من القوة ومعرفة ما يزيد فيه وما يزيد في العمر والصحة ليتفرغَ في طَلَبِ العلم، وفي كل ذلك صنّفوا كتباً، فأوردتُ بعضَها هنا على سبيل الاختصار.

قال رسولُ الله ﷺ: «لا يُرَدُّ القدرُ إلا بالدعاء، ولا يزيدُ في العمر إلا البر، فإن الرجلَ ليُحرمُ من الرزق بذنب يصيبه»[1].

ثَبتَ بهذا الحديث أنَّ إرتكابَ الذنبِ سببُ حرمان الرزق خصوصاً الكذب فإنه يورثُ الفقر، وقد ورد فيه حديثٌ خاص[2]، وكذا نومُ الصبحة يمنع الرزق، وكثرةُ النوم تورثُ الفقرَ، وفقرَ العلم أيضاً. قال القائل شعراً:

سرورُ النـاس في لبسِ اللبـاس وجمعُ العــلم في تركِ النعــاس

---

(١) رواه الامام أحمد وابن ماجه، ولفظه عند الامام أحمد برواية عن ثوبان (إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، ولا يرد القدر إلا بالدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر).

(٢) لم أجد حديثاً بهذا المعنى.

وقال :

أليسَ من الحزن أنّ ليـــاليـــاً تمرُّ بــلا نفــعٍ وتحسر من عمر

وقال أيضاً :

قم الليـل يا هـذا لعلـك تُرْشَدُ إلى كم تنامُ الليلَ والعمرُ ينفد

والنومُ عريانا ، والبول عريانا ، والأكل جنباً ، والأكل متكئاً على جنب ، والتهاون بسقوط المائدة ، وحرق قشر البصل والثوم ، وكنس البيت في الليل بالمنديل ، وترك القمامة في البيت ، والمشي قدام المشايخ ، ونداء الوالدين باسمهما ، والخلال بكل خشبة[1] ، وغسل اليدين بالطين والتراب ، والجلوس على العتبة ، والاتكاء على أحد زوجي الباب ، والتوضؤ في المبرز[2] ، وخياطة الثوب على بدنه ، وتجفيف الوجه بالثوب ، وترك العنكبوت في البيت ، والتهاون في الصلاة ، وإسراع الخروج من المسجد بعد صلاة الفجر ، والابتكار بالذهاب إلى السوق ، والابطاء في الرجوع منه ، وشراء كسرات الخبز من الفقراء ، والسؤال ، ودعاء الشر على الوالد ، وترك تخمير[3] الأواني وإطفاء السراج بالنَّفَس :

كل ذلك يورث الفقر ، عُرف ذلك بالآثار[4] .

---

(١) أي تخليل الأسنان .

(٢) المبرز : مكان الغائط .

(٣) أي وضع غطاء عليها إذا كان فيها طعام أو شراب .

(٤) لا يقصد الآثار التي هي بمعنى الأحاديث الموقوفة على الصحابة كما هو المتبادر!! وإنما أراد الاخبار عن مشايخه!.

وكذا الكتابة بالقلم المعقود، والامتشاط بالمشط المنكسر، وترك الدعاء للوالدين، والتعمم قاعداً، والتسرول قائماً، والبخل والتقتير، والإسراف، والكسل والتواني والتهاون في الأمور.

وقال رسول الله ﷺ: «استنزلوا الرزق بالصدقة»[١] والبكور مبارك يزيد في جميع النِعَم خصوصاً في الرزق[٢].

وحسنُ الخط من مفاتيحِ الرزق وبسطُ الوجه وطيبُ الكلام يزيدُ في الحفظ والرزق. وعن الحسن بن علي[٣]: كنسُ الفناء وغسلُ الاناء مجلبةٌ للغنى.

وأقوى الأسباب الجاذبة للرزق إقامةُ الصلاة بالتعظيم والخشوع، وتعديلُ الأركان وسائر واجباتها وسننها وآدابها، وصلاةُ الضُحى في ذلك معروفة، وقراءة سورة الواقعة خصوصاً في الليل وقت النوم[٤]، وقراءة الملك، والمزمل، والليل إذا يغشى، وألم نشرح لك، وحضور المسجد قبل الأذان، والمداومة على الطهارة، وأداء

(١) حديث (استنزلوا الرزق بالصدقة) ضعيف، أنظر «ضعيف الجامع الصغير» للألباني طبع المكتب الاسلامي رقم ٩٣١.

(٢) وورد هذا المعنى في حديث رسول الله (اللهم بارك لأمتي في بكورها) رواه الامام أحمد والترمذي وابن ماجه.

(٣) الحسن بن علي: حفيد رسول الله ﷺ كان عاقلاً حليماً محباً للخير من أحسن الناس منطقاً وبديهة ولد وتوفي بالمدينة مسموماً عام ٥٠/٦٧٠ (الاصابة ١/٣٢٨).

(٤) ورد في هذا أحاديث ضعيفة وموضوعة كحديث (من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً) أنظر «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» للألباني رقم ٢٨٩ - ٢٩١ وقارن «المستطرف» للأبشيهي ١/١٩.

سنة الفجر والوتر في البيت، وأن لا يتكلم بكلام الدنيا بعد الوتر ولا يكثر مجالسة النساء إلا عند الحاجة، وأن لا يتكلم بكلام لغوٍ.

وقيل: من اشتغل بما لا يعنيه فاته ما يعنيه. قال بزرجمهر:[١] إذا رأيتَ الرجل يكثر الكلام فاستيقن بجنونه. وقال عليّ رضي الله عنه: إذا تم العقلُ نقص الكلام[٢].

قال المصنف رحمه الله: واتفق لي في هذا المعنى شعراً:

إذا تم عقلُ المرء قل كلامه ... وأيقن بحُمقِ المرءِ إن كان مُكثرا
النطقُ زينٌ والسكوتُ سلامةٌ ... فإذا نطقتَ فلا تكونَ مكثرا
ما ندمتُ على سكوتٍ مرةً ... ولقد ندمتُ على الكلام مراراً

وأما ما يزيد في الرزق:

أن يقول كل يوم بعد انشقاق الفجر إلى وقت الصلاة: «سبحان الله العظيم وبحمده، سبحان الله العظيم وبحمده، واستغفر الله العظيم وأتوب إليه»[٣] مائة مرة، وأن يقول: «لا إله إلا الله الملك الحق

---

(١) بزرجمهر بن البختكان Buzurgmihr: شخصية فارسية تحاط بأساطير كثيرة في المؤلفات العربية، ذكر في «كليلة ودمنة» بوصفه وزيراً لكسرى أنو شروان (٥٣١ - ٥٧٨ م) وتختلف الروايات بشأن وفاته (قوانين الوزارة وسياسة الملك ص١٣٣، الهامش ٢).

(٢) قارن مجمع الأمثال للميداني ٢/٤٥٥.

(٣) ذكره الغزالي في «الاحياء» كحديث لرسول الله، وعلق عليه الحافظ العراقي: أخرجه المستغفري في الدعوات من حديث ابن عمر وقال غريب من حديث مالك ولا أعرف له أصلاً. ثم أورد حديثاً بهذا المعنى (سبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق الخلق) واسناده صحيح. ١/٢٩٩.

المبين » كل يوم صباحاً ومساءً مائة مرة.

وأن يقول بعد صلاة الفجر كل يوم: « الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله » ثلاثاً وثلاثين مرة، وبعد صلاة المغرب أيضاً، ويستغفر الله تعالى سبعينَ مرة بعد صلاة الفجر، ويكثر من قوله: « لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم »، والصلاة على النبي ﷺ [1].

ويقول يوم الجمعة سبعين مرة: اللهم أغنني بحلالك عن حرامك واكفني بفضلك عمن سواك [2].

ويقول هذا الثناء كل يوم وليلة: « أنت الله العزيز الحكيم، أنت الله الملك القدوس، أنت الله الحكيم الكريم، أنت الله خالق الخير والشر، أنت الله خالق الجنة والنار، أنت الله عالم الغيب والشهادة، أنت الله عالم السر وأخفى، أنت الله الكبير المتعال، أنت الله خالق كل شيء وإليه يعود كل شيء، أنت الله ديّان يوم الدين، لم تزل ولا تزال، أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كُفُواً أحد [3]، أنت الملكُ القدوس السلام

---

(١) في العديد من أحاديث رسول الله ما يحض على ذكر الله وعلى التسبيح ليلاً ونهاراً وفي كل حال، وعلى الصلاة على النبي ﷺ.

(٢) رواه الترمذي عن علي وقال: حديث حسن ولفظه (اللهم أكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عن سواك)، ولكن لم أجد ما يخصص هذا الدعاء بيوم الجمعة.

(٣) كذا في الأصل، وصحتها أن تكون للمخاطب لينتظم السياق.. لم تلد.. الخ، ويظهر أن الناسخ استعمل النظم القرآني.

المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر لا إله إلا أنت الخالق البارىء المصوّر له الأسماء الحسنى يسبحُ له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم.

وأما ما يَزيد في العمر: البر[١]، وترك الأذى، وتوقير الشيوخ، وصلة الرحم[٢]، وأن يقول حين يصبح ويمسي كل يوم ثلاث مرات: «سبحان الله ملء الميزان، ومنتهى العلم، ومبلغ الرضا، وزنة العرش. والحمد لله، ملء الميزان، ومنتهى العلم، ومبلغ الرضا، وزنة العرش. ولا إله إلا الله ملء الميزان، ومنتهى العلم وزنة العرش. والله أكبر، ملء الميزان، ومنتهى العلم، ومبلغ الرضا، وزنة العرش[٣].

وأن يتحرز عن قطعِ الأشجار الرطبة إلا عند الضرورة، وإسباغُ الوضوء والصلاة بالتعظيم، والقران[٤] بين الحج والعمرة،

---

(١) المعنى وارد في الحديث المروي في أول هذا الفصل.

(٢) روى في الصحيحين عن أنس «من أحب أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه» مختصر شعب الايمان ١٩٥، «صلة الرحم تزيد في العمر» قول نسبه الميداني في مجمع الأمثال إلى رسول الله ﷺ (٢/٤٤٩).

(٣) وبهذا المعنى روي حديث عن جويرية، ولفظ التسبيح فيه «سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته» رواه مسلم والامام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

والقصد من ذكر هذه الأوصاف التي لا نهاية لمعانيها إثبات الثناء على الله بلا نهاية، قارن «المنار المنيف» لابن القيم ٣٤ ـ ٣٨.

(٤) في الأصل المخطوط: وقراءة القرآن، والتصحيح من النسخة الأخرى ومن سياق الكلام.

وحفظ الصحة ، ولا بد أن يتعلم شيئاً من الطب ، ويتبرك بالآثار الواردة في الطب التي جمعها الامام أبو العباس المستغفري في كتابه المسمى : « بطب النبي عليه السلام »[1] ، يجده من يطلبه (فهو كتاب مشهور)[2] .

[والحمد لله على التمام ، وصلى الله على سيدنا محمد أفضل
الرسل الكرام ، وآله وصحبه الأئمة الاعلام ، على
ممر الدهور وتعاقب الأيام ، آمين.][3] تم
الكتاب المبارك المسمى :
بتعليم المتعلم
يا الله يا ميسّر بالعمل بما فيه
في وقت الضحى في مدرسة
سراي في بلدة
قيصرية[4]
سنة ١١٥١

---

(١) أبو العباس ، جعفر بن محمد المستغفري ، كان فقيهاً محدثاً حافظاً ، له كتاب « الطب النبوي » ، توفي عام ١٠٤٠/٤٣٢ (كشف الظنون ١٠٩٥) ومستغفري نسبة إلى جده المستغفر . (الجواهر ٣٤٧/٢).

(٢) زيادة من المخطوطتين

(٣) وهذا الدعاء الأخير هو من المطبوع .

(٤) قال ياقوت في معجمه (مدينة كبيرة عظيمة في بلاد الروم (تركيا اليوم) وكانت كرسي ملك بني سلجوق) ١٩٥/٧ .

الفهارس

فهرس الأحاديث

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن

فهرس الكتب

فهرس مراجع الدراسة والتحقيق

- إحياء علوم الدين ، للإمام الغزالي
المكتبة التجارية بمصر ، دون تاريخ .
- أدب الدنيا والدين ، لأبي الحسن الماوردي
ط : صبيح - القاهرة - دون تاريخ .
- الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ، للإمام النووي ،
المكتبة الثقافية - بيروت - ١٩٧٣ .
- الاصابة في تميز الصحابة ، للحافظ ابن حجر - مطبعة السعادة
القاهرة .
- اقتضاء العلم العمل ، للخطيب البغدادي
المكتب الإسلامي - بيروت
- الاعلام ، لخير الدين الزركلي
ط : ٣ - بيروت - ١٩٦٩ .
- تاج التراجم في طبقات الحنفية : ابن قطلوبغا
تحقيق : فلوجل - ليبزيغ ١٨٦٢ .
- تاريخ التربية الإسلامية : د . أحمد شلبي
القاهرة - دار الكشاف ١٩٥٤ .

- تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان
باللغة الألمانية
فيمار ١٨٩٨ ـ ليدن ١٩٣٧ .
- تاريخ الشعوب الإسلامية: كارل بروكلمان
الترجمة العربية ـ دار العلم للملايين
بيروت ١٣٧٠ ـ ١٩٥٠ .
- تاريخ العرب: فيليب حتى
ط: ١٩٦١/٣ .
- التذكار في أفضل الأذكار، للقرطبي،
المكتبة العلمية ـ بيروت ـ دون تاريخ.
- تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، لابن جماعة
حيدر آباد ـ الهند، ط: ١، ١٣٠٣ هـ
- التربية في الإسلام أو التعليم في رأي القابسي،
أحمد فؤاد الأهواني،
القاهرة، البابي الحلبي ١٩٥٥ .
- التعلم: د. إبراهيم محمود
دار المعارف ـ مصر ـ ١٩٧٩ .
- التعلم عند برهان الإسلام الزرنوجي: د. سيد عثمان
القاهرة ١٩٧٧ .
- تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول، لابن البديع الشيباني.

القاهرة ـ مؤسسة الحلبي.
- التعريفات: عليّ بن محمد الجرجاني
المطبعة الخيرية، مصر ١٣٠٦ هـ.
- جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر القرطبي
الطبعة المنيرية القاهرة.
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي
دار الكاتب العربي ـ القاهرة ١٣٨٧/١٩٦٧.
- جواهر الأدب، للبستاني
مكتبة صادر ـ بيروت ١٩٢٩.
- الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، محي الدين القرشي الحنفي،
ط: ١، الهند، حيدر آباد ١٣٣٢.
- خلاصة التهذيب، تهذيب الكمال في معرفة أسماء الرجال، للخزرجي، ١٩٧٩/١٣٩٩.
- ديوان أبي تمام بشرح التبريزي،
تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف، مصر.
- ديوان الحطيئة، عيسى الحلبي،
القاهرة: ١٩٥٨/١٣٧٨
- ديوان الإمام الشافعي، تحقيق: زهدي يكن،
دار الثقافة ـ بيروت ـ ١٩٦١.
- ديوان الإمام عليّ، جمع: عبد العزيز كرم
دمشق ـ دون تاريخ.

- ديوان المتنبي ،
دار صادر ـ دار بيروت ، ١٣٨٤/١٩٦٤ .
- رياض الصالحين في كلام سيد المرسلين : للإمام النووي
تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني .
المكتب : الإسلامي بيروت ، ١٣٩٩/١٩٧٩ .
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة
تأليف : محمد ناصر الدين الألباني
المكتب الإسلامي ـ بيروت ، ط : ٤ ، ١٣٩٨ .
- سلسلة الأحاديث الصحيحة
تأليف : محمد ناصر الدين الألباني
المكتب الإسلامي ، بيروت
ط : ٢ ١٣٩٩/١٩٧٩ .
- سنن ابن ماجه ، ط : ٢ ، دار الفكر العربي ، بيروت
- صحيح البخاري ، للإمام البخاري
طبعة استانبول .
- صحيح الجامع الصغير ، محمد ناصر الدين الألباني
المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٣٨٨/١٩٦٩ .
- ضعيف الجامع الصغير ، محمد ناصر الدين الألباني
المكتب الإسلامي ، بيروت ١٣٩٩/١٩٧٩ .
- الطب النبوي ، لابن قيم الجوزية .
دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ دون تاريخ .

- العبودية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ط : ٥ ، المكتب الإسلامي .
- الفكر التربوي العربي الإسلامي ، الجزء الثاني
د . محمد ناصر ـ الكويت ١٩٧٧ .
- الفوائد البهية في طبقات الحنفية ، لمحمد عبد الحي اللكنوي
القاهرة ـ الخانجي ، ١٣٢٤ .
- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، لمحمد بن علي الشوكاني
تحقيق : عبد الرحمن اليماني ، بيروت ١٣٩٢ .
- فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للمناوي
دار المعرفة ـ بيروت ، ١٩٧٢ .
- القاموس المحيط ، للفيروز آبادي
مؤسسة الحلبي ـ القاهرة ـ دون تاريخ .
- الكامل في التاريخ ، لعز الدين ابن الأثير الجزري
ط : القاهرة ـ دون تاريخ .
- كشف الظنون ، لحاجي خليفة ط : ١٩٤١/١٣٦٠ .
- مجمع الأمثال ، لأبي الفضل الميداني ،
تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد .
المكتبة التجارية بمصر ، ١٣٧٩/١٩٥٩ .
- مختصر شعب الايمان ، لأبي جعفر القزيني .
طبعة القاهرة سنة ١٣٥٥ .
- مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام ، عبد الرحمن الباني ، المكتب الإسلامي ١٩٨٠ .

- المستطرف في كل فن مستظرف : شهاب الدين الأبشيهي المحلي .
بيروت ، دار الأمم للطباعة والنشر ، دون تاريخ .
- المسند : الامام أحمد بن حنبل
ط :٢ ـ١٩٧٨/١٣٩٨ ، المكتب الإسلامي .
- مسند أبي حنيفة : جمعه صاحبه أبو يوسف
بيروت ، طبعة الهند ـ حيدر آباد .
- مشكاة المصابيح ،الخطيب التبريزي
تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني
ط : ٢ ـ ١٩٧٩/١٣٩٩ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
- معجم البلدان : ياقوت الحموي ،
القاهرة ، ط : ١ ، ١٩٠٦/١٣٢٣ .
- معجم المطبوعات : يوسف اليان سركيس
القاهرة ـ ١٩٢٨ .
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، لفنسينك ومينسينك
ليدن ١٩٣٦ ـ ١٩٦٩ .
- معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة
دمشق ، ١٩٥٧/١٣٧٦ .
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة :
للحافظ السخاوي ، ١٣٩/١٩٧٩ .
- المنار المنيف في الصحيح والسقيم : ابن قيم الجوزية
تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة

المطبوعات الإسلامية ١٩٧٠ .
- الموسوعة الإسلامية ، للمستشرقين
المواد : زرنوجي لـ : بلسنر ٣٤٥/١٠
تركستان ٢٠٩/٥ ـ ٢١١ .
- الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية ، جورج شهلا وغيره
بيروت ، ١٩٥٥ .

فهرس الكتاب